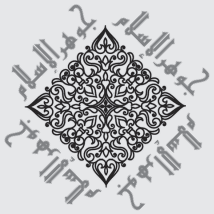

جوهر الإسلام

العدد 4/3 ـ السنة 24
ربيع 1 1447 هـ / سبتمبر 2025 م

الثمن 5 د.ت ـ 5 أورو

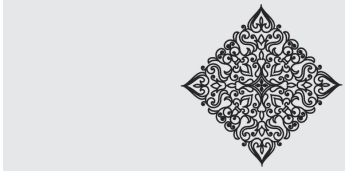

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة

الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير

الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر ـ تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.423.233
البريد الالكتروني الموقع الالكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	01000021111000238106
ISSN	4957-0330

الثمن للأفراد	الاشتراك بتونس	الاشتراك للمؤسسات
بتونس 5 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 50 د.ت
بالخارج 5 أورو	بالخارج 40 أورو	بالخارج 50 أورو

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صدق الله العظيم

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة

الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير

الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

1447 هـ/ 2025 م

المحتوى

الافتتاحية 6
تفسير آيات من القرآن الكريم بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله 8
مد الجسور بين المذاهب الإسلامية 12
بقلم العلامة الشيخ عبد الله بن بية
مَنهَج التحرير في فكر الشَّيخ محمد الطّاهر بن عاشور رحمه الله 17
بقلم الدكتور نجم الدين خلف الله
دور الإعلام العربي في الرد على حملات تشويه الإسلام 25
بقلم فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب
الحديث الثالث والثلاثون من الأربعين النووية: البيّنة على المدعي واليمين
على من أنكر 30
بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي
في العلاقة الجدلية بين الفتوى والاجتهاد والقضاء 35
بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو
حديث الذكريات عن أستاذي أنس القرقوري 40
بقلم الباحث والكاتب الأستاذ صالح العود
حقيقة سنة الرسول ﷺ 44
المفكر الإسلامي: وحيد الدين خان
محورية الأصالة والحداثة 47
في فكر الشيخ الحبيب المستاوي
رمز الوسطية والاعتدال 47
بقلم الدكتور هشام بن صالح
هندسة العقل الفقهي في زمن الذكاء الاصطناعي 53
بقلم الدكتور محمد البشاري
الثورة الرقمية والدعوة الإسلامية 55
بقلم الأستاذ إبراهيم الربو
سيدنا محمد رسول الله ﷺ منقذ البشرية 58
بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

بعض المختارات التاريخيّة من العهد المرينيةُ 60
اعتنى بـها الأستاذ عبد الهادي النجار الشاذلي
جواز الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عند أهل السّنة والجماعة 68
إعداد أ. جمعة العكرمي الدرويش
من كلام الشيخ محمّد الطّاهر بن عاشور عن المولد النّبوي الشّريف 68
كيف تحل بيننا ذكرى مرور 1500 سنة على مولد رسول اللّه ﷺ
ولا نوليها ما تستحق من الاهتمام ؟!..... 71
مجلات إسلامية لا تنسى : جوهر الإسلام 73
بقلم الدكتور علي العريبي
في وداع شيخ الجمال الخلقي والسماحة فضيلة الشيخ جمال الدين
القادري البودشيشي رحمه اللّه 79
اطلالة غرّاء على هذا الكتاب النفيس الذي يجهله مُعظم القرّاء: 82
من أوراق ومذكرات الامام محمد الخضر حسين 82
بقلم : الأستاذ صالح العود
من علم المحاضر في بلاد شنقيط..... 84
بقلم الشيخ محمد بن سيّد أحمد صلاحي
دعوة إلى تأسيس مقْرءات للقرآن الكريم تبث إذاعيا وتلفزيا..... 85
فضيلة الشيخ عثمان الأنداري
فتوى مالكية زيتونية تونسية في مشروعية الدعاء والذكر والصلاة على
النبي ﷺ جماعة عقب الصلوات المكتوبات..... 87
شهادة الأقارب والأباعد لرسول اللّه ﷺ بالخلق الكريم 88
البيان الختامي لمؤتمر صناعة المفتى الرشيد في عصر الذكاء الاصطناعي
الصادر عن الامانة العامة لدور الافتاء وهيئات الافتاء في العالم القاهرة 93
يسألونك قل : زكاة الأموال المدخرة لبناء مسكن أو زواج أو غيره 96
بقلم الشيخ محمد الحبيب النفطي رحمه اللّه
مولاي :من لي ألوذ به إلاك يا سندي ومولاي 98
بقلم صالح الحاجة

الافتتاحية

اقترن صدور أول عدد من «جوهر الإسلام» قبل ما يزيد على 57 سنة بذكرى المولد النبوي ومن هدي صاحبها عليه الصلاة والسلام تمضي في استلهام العبر والدروس.

يصدر العدد 3/ 4 من السنة 24 من مجلة «جوهر الإسلام» مقترنا بشهر ربيع الأول ولها معه ذكريات لا تنسى لعل أهمها أنه الشهر الذي شهد تأسيسها وصدور أول عدد منها قبل ما يزيد على سبع وخمسين سنة (1388هـ/ 1968م)

في شهر ربيع الأول الأغر شهر مولد سيد البشر محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام من بعثه الله للناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ومن هو رحمة للعالمين وبالمؤمنين رؤوف رحيم ومن هديه القويم الذي هو الرحمة في كل تجلياتها لا تزال «جوهر الإسلام» تنهل من معينه العذب الذي لا ينضب ناشرة ما جاء به وما جسمه في أخلاقه وسلوكه الذي تطابق فيه القول بالفعل والظاهر بالخفي فكان عليه الصلاة والسلام كما شهد له به ربه في قوله جل وعلا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وكما شهد له القريب والبعيد والقرين والصاحب فقد كان خلقه القرآن كما أوجزت وصف خلقه أم المؤمنين السيدة عايشة رضي الله عنها وكما سبقتها في نفس السياق أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها وهي التي عرفته قبل بعثته نبيا ورسولا موجهة الخطاب إليه ومواسية له «والله لا يخزيك ربك إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر».

من بحر هذه المعاني وسيرا في هذا الدرب تخصص جوهر الإسلام جانبا من هذا العدد ما به تؤصل ما درج عليه المسلمون منذ أزمنة مديدة من حفاوة بشهر مولد رسول الله عليه الصلاة والسلام وما حبرته أقلام كبار العلماء قديما وحديثا من إعطاء المشروعية والشرعية للاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف حتى تطمئن قلوب المؤمنين المحبين لرسول الله ﷺ وتكون هذه الذكرى مناسبة لترسيخ هذه القيمة الخالدة التي هي جوهر الدين ولبه والدين حب أو لا يكون حب المحسن وهل هناك بعد الله من هو أعلى درجة ومرتبة من سيد الوجود عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

والمسلمون بل البشرية جمعاء في هذا الزمن الصعب والمليء بالتحديات في أمس الحاجة إلى هدي رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي هو وحده دون سواه الكفيل بإعادة التوازن للفرد والمجتمع وهو توازن يكاد ينخرم مؤذنا بمصير مجهول تسبب فيه جري الإنسان إلى حد اللهث وراء الدنيا التي أصبحت اكبر الهم ومبلغ العلم أذكى ذلك مارد التقدم العلمي المادي غير المتقيد بالقيم والأخلاق والمهمل لكل ما هو روحي في حين أنّ الإنسان هو جسم ونفس(روح) وصدق من قال ناصحا :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

هذه المعاني هي اهم ما ينبغي استخلاصه من سيرة وشمائل رسول الله ﷺ في ذكرى مولده وكفى بذلك مشروعية للاحتفال بمولد رسول الله وهو ما لم يختلف فيه كل علماء الإسلام قديما وحديثا وما حبر فيه اعلام الغرب الإسلامي وشيوخ الزيتونة عديد المؤلفات(وفي العدد عينات منها).

وإننا لندعو الأمة علماء وولاة امر وهيبات ان يجعلوا من احتفالات هذه السنة بالمولد النبوي منطلقا لاحتفاليات كبرى ومتنوعة برسول الله صلى الله عليه وسلم تمتد طيلة هذه السنة الهجرية1447 فهي تصادف ذكرى مرور1500 سنة لميلاد رسول الله عليه الصلاة والسلام وما ذلك بالكثير في حق صاحب المنة العظمى على كل الامة بعد الله سبحانه وتعالى

وجريا على العادة في كل عدد يصدر جديد فإنّ القارئ سيجده متضمنا لبحوث جادة لأعلام تتشرف «جوهر الإسلام بتعميم الإفادة بعطائهم في مواضيع حول مد الجسور بين مختلف مكونات الأمة و وجوب التصدي لحملات التشويه والتخويف من الإسلام والمسلمين وبيان الشروط التي يجب أن تتوفر في من يتصدى للتوجيه والإرشاد والإفتاء وهو مجال اختلط فيه الغث بالسمين والحق بالباطل وزادت ضراوته هذه الوسائط الجديدة في العالم الافتراضي والتي آخرها ما اصطلح على تسميته بالذكاء الاصطناعي والذي تواصل جوهر الإسلام لفت الانتباه إليه باعتباره سلاحا ذا حدين وانه لا يمكن تجاهل مخاطره (وفي العدد تعرض لذلك في مقالات وبيانات صادرة أخيرا).

ولم تنس «جوهر الإسلام» ما درجت عليه من تعريف بأعلام تونس وما تركوه من آثار علمية وما قاموا به من جهود في خدمة الأمة ودينها (سماحة الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور وفضيلة الشيخ الحبيب المستاوي وفضيلة الأستاذ أنس القرقوري رحمهم الله واجزل مثوبتهم).

وفي العدد مقالات أخرى متنوعة فضلا عن الأبواب القارة المعهودة والقسم الفرنسي وكالعادة تتحف «جوهر الإسلام» القراء بهديتين ثمينتين تضاف إلى ما تضّمنه العدد وهما كتابان الأول هو الوثائق المدونة في العصر النبوي من تأليف الشيخ صالح العود الذي عوّد القراء بهذه الهدايا العظيمة الفائدة حسبة لله جزاه الله خيرا والهدية الثانية الثمينة هي مجموعة أحزاب الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه التي تحمل عنوان «نبراس الأتقياء ودليل الأنقياء» والذي يتزامن اهداؤه مع اختتام موسم الزيارات السنوي للمقام الشاذلي في تونس هدية من صاحب دار إحياء التراث الزيتوني الأستاذ الأسعد الحفصي جزاه الله خيرا.

هذا وبالله العون ومنه السداد والتوفيق ورجاء القبول.

رئيس التحرير

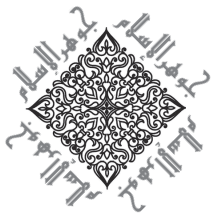

تفسير آيات من القرآن الكريم بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (262) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265)﴾. سورة البقرة

صدق الله العظيم

إن هذه الآيات من سورة البقرة تعالج مشكلة اجتماعية متفشية في جميع المجتمعات بنسب مختلفة ومتقاربة، هذه المشكلة هي اختلاف المظهر والمخبر وعدم مطابقة السر للعلانية. وإن المتأمل للآيات بادئ ذي بدء يلمس أن المحور الذي تدور عليه هو التحذير من الوقوع في مثل هذه الآفة الخطيرة التي هي صورة من صور النفاق وبداية من بدايات المهلكة، أفلا تراه سبحانه وتعالى يلح على جعل العمل خالصا لوجهه الكريم ويكرر كلمة في سبيل الله ويضيف إليها ضرب الأمثلة

التشخيصية للعمل الذي جاء وفق المطلوب، وللعمل الذي كان ذا صبغة ازدواجية بواكيره ومقدماته تنمى إلى الخير وتتسم بسمته ولكن خواتيمه ونهاياته متناقضة مع ذلك تمام التناقض وهو في جميع ذلك يقدم النتائج الطبيعية لكل نوع من النوعين حتى يكون المؤمن على بصيرة من أمره ويختار لنفسه أوضح الطرق وأسلمها، فلنستمع إليه سبحانه وتعالى يقول: ﴿**مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾.أجل إن فضله لواسع وإن رزقه لكثير، وإن علمه لمحيط بكل خفي وظاهر لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء**﴾ ومن لا تخفى عليه النملة السوداء في الليلة الحالكة السوداء لا تخفى عليه خلجات الضمائر ولا نبضات القلوب فكل سر محجب، هو امام علمه المحيط مهتوك الحجب، سافر الوجه يعلمه كما هو ويراه فإذا ما علم من عبيده حسن النية وسلامة القصد، ورأى أن إنفاقهم لأموالهم كان في سبيله وابتغاء مرضاته لم يخالطه قصد آخر من تلك المقاصد غير الشريفة، تجلى عليهم بالرضى والقبول وفتح لهم أبواب الخير على مصاريعها فقال لهم: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ بل وعدهم لا بإرجاع المثل فقط حتى يكون إنفاقهم كإقراض الكريم الأصيل إنما وعدهم بإرجاع الضعف والأضعاف الكثيرة إذ قال هنا: ﴿**وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء**﴾وقال في مقام آخر: ﴿**فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**﴾، وبذلك يكون المنفق في سبيل الله متجرا ماهرا زيادة على مقصد الخير الذي هو الدافع الأول. وأي تاجر ذكي لا يسارع إلى عقد صفقة يأتي الدرهم فيها بسبعمائة درهم إذا لم تقع المضاعفة الواحدة ولا المضاعفات الكثيرة، أما إذا وقعت إحداهما وذلك كثير ومتوقف على شرط واحد هو من جانبنا نحن لا من جانب الله فإن ضبط الأرباح يحتاج إلى اختصاصي في الحسابيات ومسك الدفاتر ﴿**كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ**﴾أرباح طائلة ومغانم كثيرة لمن جزم وتيقن أن ربه قادر على كل شيء وكريم فوق كل كريم، وآمن بصدق قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾، ﴿**وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ**﴾، إلى غير ذلك من التأكيدات الكثيرة التي لا تترك مجالا للشك إلاّ في قلوب ران عليها الجحود وغشاها الشك والشرك، أعاذنا الله وإياكم من ذلك..

ويتمادى سبحانه وتعالى في توضيح الغرض وتقريره فيقول: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ**

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لأن الله سبحانه وتعالى يخشى علينا أن تلاحقنا النوايا الخبيثة ولو بعد إتمام العمل الخيري فيريد أن يحذرنا من ذلك ويوصينا بأن لا نغترّ بإحراز الانتصار الأول إبّان نشوب المعركة بين نوازع الخير ونوازع الشر فنستسلم للدعة والاطمئنان ونتصور أن فلول الجيش المهزوم لا تستطيع أن تلم شعثها وتنقض انقضاض الآيس فتبدل نتيجة المعركة الأولى وكثيرا ما وقع ذلك فعلا في معارك الجيوش وفي معركة النفس **﴿ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** إن كلمة يتبعون تدل على أن عملا ثانيا جاء عقب عمل أول وكان مخالفا له ومناقضا لروحه فقد يبطله وينسخه، وما المن إلا نوع من الفياش والانتفاخ يصاب به ضعيف النفس، وكلنا ضعفاء النفوس فيجد متعة في ترديد ذكر أياديه ويتغنى في كل ملأ بمناسبة أو بغير مناسبة كأنه يشعر بأن البشرية لم تستطع أن تؤديه حقه ولا أن تملأ الدنيا بشكر صنيعه وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على أن تلك الخيرية لم تكن أصيلة طبيعية تنبع من أعماق الشعور ومن صادق العاطفة، بل كانت متكلفة مصنوعة استطاع صاحبها أن يخفي أثر الكلفة والصنعة فيها لزمن قصير، ثم أبت إلا أن يفتضح سرها وتظهر على حقيقتها.

ومهمـــا تكـــن عند امرئ من خليقـــة

وإن خالهـــا تخفى على النـــاس تعلـــم

ومثل هذا لا يحتاج إلى تأمل كبير ليحكم على أنه عمل في سبيل النفس وفي سبيل الشيطان وليس هو لله ولا في سبيل الله، ومثل المن الأذى والاستنقاص وكل ما ينعت بأنه تصرف منحرف إزاء من شاء ربك أن يسوق إليه الخير على يديك، وكله في الواقع من عند الله. إنما الغفلة والجهل هما اللذان يخيّلان لأصحابهما أنهم على شأن كبير وأنهم يملكون الخير والشر وذلك هو الوهم والخطأ:

ويأبى الله إلا أن يقدم نوع الجزاء الذي سيجازي به من لم يتبع ما أنفق منا ولا أذى فيقول: **﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** لهم أجرهم عند ربهم. وأي شيء أضمن وأفضل من الأجر الذي يتكفل بالوفاء به غنى قادر وكريم، وليست العندية مقصورة على الجزاء في يوم الجزاء كما يتبادر إلى بعض الأذهان، فيزهد من يزهد ويستبطئ من يستبطئ، إنما العندية معناها الوجود والتكفل وأول ما يكون ذلك يكون في العاجل ثم في الأجل وكلاهما يقتضيه اللفظ ويحتمله المعنى، ولتأكيده نفى عن أهله الخوف والحزن ولا ينتفيان إلا حيث تتحقق السعادة والأمن،

وبعد كل هذا يسوق المولى مقارنة ومفاضلة بين هذا العمل المبرور في ظاهره المبتور المشلول في حقيقته وبين السلبية النبيلة التي تتجلى في القول الطيب والإحساس النبيل والتجاوز والتسامح ويفضل هذه السلبية الطاهرة عن تلك الإيجابية الكذوبة فيقول: ﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾ إنه لغنى عن صدقة المن والأذى وحليم بمن هفا وازدجر وندم.

وينتقل سياق الآيات بعد إعطاء الأحكام واضحة جلية إلى نوع آخر من أنواع التقرير والإقناع ويستفتحه بالنداء ثم يتبعه بضرب الأمثال المجسمة في عالم الحس حتى تزداد القلوب إيمانا ويقينا فيقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾.

لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، هذه نتيجة حتمية لما كان قرر في الآيات السابقة إنما الجديد هو تشبيه هذا النوع من الصدقة بنوع آخر من الانفاق الذي يأتي مواجهة لغرض سخيف ضعيف يريد صاحبه أن يأتيه مباشرة بدون التواء ﴿**كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ**﴾ وما مثل هذا وذاك في عالم الحس إلا كمثل حجر أملس وضع عليه تراب فلما نزل المطر وابلا جرف ذلك التراب الذي لم تنتفع به الأرض التي كان فوقها ولا استقر وأنبت فوق تلك الصخرة والأمر كذلك بالنسبة لمن ينفق رياء، ولمن يبطل الصدقات بالمن والأذى ففي كل منهما الخسارة المحققة والافتضاح والغضب، والله لا يهدي القوم الكافرين

ثم أتى سبحانه وتعالى بمثل الذين ينفقون في سبيل الله بثقة في جزائه واطمئنان لوعده وما مثل هذا إلا كمثل من يملك بستانا بأرض مرتفعة فيه نخل وعنب وفيه من كل الفواكه والثمار وجاءه المطر في الإبان فماذا تراه يصنع؟ وكيف يكون إنتاجه وإثماره سواء نزل به الوابل أو الطل؟ إنه سيكون جميل المنظر لذيذ الفاكهة، وافي المنفعة، ذلك بعينه مثل من أنفق في سبيل الله واثقا مطمئنا فلنستمع إلى العزيز القدير يقول: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ صدق الله العظيم

مد الجسور بين المذاهب الإسلامية[1]

بقلم العلامة الشيخ عبد الله بن بية

الأمين العام لمنتدى أبو ظبي للسلم

إن الحديث عن بناء الجسور بين المذاهب الإسلامية ليس تَرَفا ولا فضولاً، وإنما هو من صميم واجب الوقت، المتعين على الجميع النهوض به، على مختلف المستويات، وضمن دوائر التأثير المتعددة.

ويكتسي هذا الموضوع أهمية كبرى ويصبح ضرورة قصوى في عصرنا الحاضر الذي يتسم بالحركة السريعة والمفارقات الواضحة، عصر التواصل الكثيف والعزلة الشديدة، عصر العلم المتقدم والجهل المستشري، عصر الدقة والتضليل، عصر استكشاف المجرات والغياب عن الذات.

إن ما يتيحه هذا العصر من إمكانات تقنية، تشكل بمجموعها سياقا من الفرص والتحديات قد يكون أداة للتعارف والتآلف والحوار وبناء جسور التواصل، وقد يكون تحدياً في نشر الكراهية والأخبار الزائفة والأفكار المتطرفة والتنابذ والتَّدابر.

إن العنوان العريض للمؤتمر حول «**بناء الجسور للوصول إلى مؤتلف أو ائتلاف إسلامي فعّال**» ينطلق من فرضية وجود جزر متفرقة منعزلة ينبغي بناء جسور بينها، والحق أن هذا هو حال كثير من المسلمين إذ يعيشون في جُزُرٍ مفصولة، تقوم بينها

(1) نص مداخلة الشيخ عبد الله بن بية في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في موضوع : بناء الجسور للوصول إلى مؤتلف أو إئتلاف إسلامي فعال (1446 هـ / 2025 م2).

مناطق عازلة، وهي ليست جزراً جغرافية من تراب وماء، وإنما هي جزر متباعدة من الأفكار والتوجهات والقلوب، تجعل طوائف الإسلام في أمس الحاجة إلى جسورٍ تصل بينها، وطرقٍ تُقرب القلوب من بعضها

إن الوعي بهذا الواقع المشهود، واقع اليأس المتبادل، واستحكام العداء وتحكّم النزعات واستشراء النزاعات وخفوت صوت العقل، يحتّم على النّاصحين لأمّتهم والمُشفقين عليها، أن يتصدّوا له من خلال رفع شعار التواصل وبناء الجسور.

إنها دعوة الدّين التي تزكّيها النّصوص وتؤيدها المقاصد ودعوة العقل التي تزكيها الحكمة وتؤكدها التجربة الإنسانية، ودعوة الواقع وما يحمله من موازين المصالح والمفاسد. وهي دعوة تنير الدرب ولتفعيل هذه الدعوة، نقترح ثلاث أسس لبناء هذه الجسور.

❐ الأساس الأول- بناء الجسور ضرورة دينية

تستند الدعوة إلى بناء الجسور إلى أصل أصيل من أصول ديننا الحنيف، ومبدأ متين من مبادئه القطعية، وهو مبدأ الوحدة الإسلامية، والائتلاف ورفض الاختلاف والتنازع والفرقة

وتلك ضرورة دينية، لا نحتاج إلى إطالة الرّشا في التأصيل لها، وإثباتها، فالآيات الدالة على وجوب الألفة والحث على الوحدة كثيرة، من ذلك قوله تعالى:﴿**واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ أي قوتكم وجماعتكم وقوله سبحانه ؛ ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ وقوله عز وجل ؛ ﴿**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾ وقوله سبحانه ؛ ﴿**أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾. فهذه أوامر بالاعتصام بحبل الله تعالى وإقامة دينه، مقرونة بنواهٍ عن التفرق والنزاع، مع التنبيه إلى النتائج الحتمية المتمثلة في الفشل الذي يعنى العجز عن الوصول إلى غاية هداية الخلق، وعمارة الأرض بالحق.

❐ الأساس الثاني- بناء الجسور مصلحة معتبرة

تنبثق ضرورة بناء الجسور بين المذاهب الإسلامية من مبدأ المصلحة، فالمصلحة مبدأ مركزي في ديننا، ومعيار المصلحة هو المعيار الصحيح الذي

لا يحيف، وميزانها هو ميزان العدل الذي لا يجور. فـ«وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً» كما بيّن الإمام الشاطبي من خلال استقراء نصوص الشريعة، وكما أثبت العز بن عبد السلام في كتابه «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، حيث صرّح بأنه لا تفاوت بين طلب وطلب، وإنما التفاوت بين المطلوبات من حيث جلب المصالح ودرء المفاسد، مدار الأوامر والنواهي في ديننا على اعتبار المصالح جلبا والمفاسد درءا، وانطلاقا من التوافق التام بين النقل والعقل، جعل العز: «معظم مصالح الدنيا ومفاسدها معروفة بالعقل وذلك معظم الشرائع».

وأما المصالح الجليلة في التّواصل والتآلف والوئام فهو أمر لا يخطئه البصر ولا تنبو عنه البصيرة، فقد منّ الله به على المسلمين إذ قال: ﴿**وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾.

❐ الأساس الثالث ـ بناء الجسور حاجة يؤكدها الواقع العالمي

إن أهمية بناء الجسور ترجع أيضا إلى فقه الواقع العالمي من خلال القراءة الواضحة والمدروسة لمعالمه، فهو واقع في طور إعادة التشكّل حول مفاهيم القوّة والمصلحة والغلبة، ولا يتأتّى لمن رام أسباب القوّة تحقُّقُ مقصودِهِ إلا بحدّ أدنى من الألفة والتعاون والتضامن، تصرف به طاقات الأمة في قنوات البناء والعمل، بدلا من قنوات العبث والتدمير الذاتي. وهذا ما صرّح به القرآن الكريم: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾. تلك حقيقة أزلية، فبالاجتماع والتعاون تكون القوة، وبالتنازع والخلاف يكون الفشل والعجز.

تلك هي أهم مسوغات هذه الدعوة وتلك هي مغازيها ومراميها

أما كيف ننطلق من هذه الأسس إلى جسور تجمع شمل الأمة وتلم شعثها؟

فلعل ذلك ببناء عدد من الجسور التي عرضنا في النسخة الأولى من هذا المؤتمر الجامع ومنها جسر **أدب الخلاف وحسن التعامل مع المخالف، وإعمال سدّ الذرائع في بناء جسور الوحدة من خلال إغلاق الباب أمام المفاسد العظيمة**

الواقعة من كلام بعض المسلمين في بعضهم، وجسر القول اللين والشفقة على أهل الملة، **وجسر تفعيل الحوار، وجسر تعزيز قيمة التسامح.**

فلا بد من تقريب الشّقة بين مختلف طوائف المسلمين -حسب الإمكان- والتسامي عن التجريح والتنابز بالألقاب، وتجاوز كثير مما نحسب أنه بعضه كان اختلافات لفظية وعنوانية، أكثرَ منها جوهرية، وننصح بالتوقف عن التكفير والتبديع والتضليل، لأن نتيجة التنازع هي الفشل والتمانع.

وللشيخ تقي الدين بن تيمية كلامٌ نفيس في كتابه «درء تعارض العقل والنقل»، أسس فيه لقاعدة من القواعد المنهجية المهمة حيث قال في سياق كلامه عن قضايا من علم الكلام: «والذي نختاره أن لا نكفّر أحدا من أهل القبلة، والدليل عليه أن نقول: المسائل التي اختلف أهل القبلة فيها... لا يخلو إما أن تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها أو لا تتوقف، والأول باطل، إذ لو كانت معرفة هذه الأصول من الدين لكان الواجب على النبي صلي الله عليه وسلم أن يطالبهم بهذه المسائل، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل، بل ما جري حديث في هذه المسائل في زمانه عليه السلام، ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، علمنا أنه لا تتوقف صحة الإسلام على معرفة هذه الأصول». وكذلك الإمام أبو الحسن الأشعري شهد أنه لا يكفر أحداً من المسلمين كما أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء.

والنصوص كثيرة تلفت الانتباه إلى تطور المعرفة بعد عصر الصحابة، حيث تفجرت من معين الكتاب والسنة، ينابيع الحكمة وسالت أودية العلوم وزهت رياض المعرفة، فسامت فيها العقول وتمايزت فيها الأذواق والفهوم، ﴿**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ**﴾.

وهم وإن تعدّدت مشاربهم، واختلفت مذاهبهم، فكعبتهم واحدة، وهدفهم متحد، هو تحقّق الإيمان بمقتضياته علماً وعملاً، والاجتهادات البشرية لا يمكن أن تكون متفقة أو متطابقة في مقارباتها ومنهجيتها إلا أنها بالتأكيد مجمعة على هدفها.

وَحَيْثُ كُنَّا معاً نَرْمِي إلى غَرَضٍ فَحَبَّذا نَاضِلٌ منا وَمَنضُولُ

ولذلك فقد تعايشت هذه الطوائف والمذاهب في الغالب تعايشا سعيدا، وتساكنوا في ظل الكلمة الجامعة، تجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة. والعمدة في ذلك والقاعدة العظيمة هي ما جاء في الحديث الصحيح: «**مَن صَلَّى صَلَاتَنَا واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذلكَ المُسْلِمُ الذي له ذِمَّةُ اللَّهِ وذِمَّةُ رَسولِهِ، فلا تُخْفِرُوا اللَّهَ في ذِمَّتِهِ**» . فهذا الحديث حاكم في قبول الجميع وفيه تنبيه على أن «أمور الناس محمولة على الظاهر دون باطنها، فمن أظهر شعائر الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك»، كما ذكره الإمام بدر الدين العيني في تعليقه على هذا الحديث في عمدة القاري شرح البخاري.

ختاما، فإننا نوصي بتوصيات

التوصية الأولى: أن تنشر الرابطة كتاباً جامعاً للمسلمين يتضمن أهمية الألفة والمحافظة على الأخوة، كما ننبه على خطورة التكفير والتضليل شرعاً ومصلحة ببيان واضح وبرهان ناصح كما فصلت ذلك وثيقة مكة التاريخية.

التوصية الثانية، تكوين مجموعة دائمة تقوم بالاتصال بمختلف أطراف النزاع بين المسلمين لرأب الصدع وجمع الشمل.

التوصية الثالثة، إنشاء قسم في رابطة العالم الإسلامي لمتابعة ملفات النزاع ودراستها وتقديم المقاربات مع مختلف الأطراف بما في ذلك الدولية منها لتكون للدين كلمته عبر ما يسمى بالدبلوماسية الدينية.

إن دعوتنا إلى بناء الجسور بين المسلمين لا ترْمي إلى استبعاد الآخر ولا استعداءه، وإنما هي دعوة في دائرة البيت المسلم إلى الامتناع عن الاحتراب الداخلي الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال «**لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**».

وهكذا، فالجسور التي نبنيها بيننا ليست جدراناً في وجه التفاعل الإيجابي مع الآخر، بل هي قناطر تصلنا بالإنسانية جمعاء، وتفتح فرصا أكبر للتعايش مع عموم البشر بمختلف أديانهم وأعراقهم على قاعدة المشتركات الإنسانية والسعي في الخير والبر ونشر السلام دون أن يعني ذلك تنازلاً عن العقيدة بل تنزيلاً للأحكام طبقا لسياقات الزمان والمكان ..

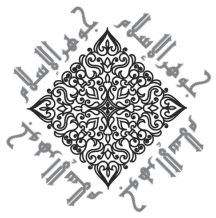

مَنهَج التحرير في فكر الشَّيخ محمد الطّاهر بن عاشور رحمه اللّه

بقلم الدكتور نجم الدين خلف اللّه

(فرنسا)

نستعرض في هذا التقديم المُوجَز مَنهجَ «التحرير» الذي اعتَمده الشَّيخ محمد الطّاهر بن عاشور بما هو جملة المبادئ النَّظَريّة التي حَكمت أعمالَه الكاملة أسلوبًا في البحث وهَدَفًا للفِكر. فقد استند الشّيخ على مبدأ التحرير مسلكًا ثابتًا، سارَ عليه في كلِّ ما أنجز من المُؤَلَّفات، وهو ما سنجد صداه في كلّ جزءٍ من هذه الآثار، بل في كلّ صفحةٍ وسطرٍ منها، لأنَّ الغاية مما حَبَّره قَلَمُه، كما أكَّدَه غير مرّةٍ، ليست استعادة آراء العُلماء السّابقين وإنما تمحيصُها ونقدُ أدلتها واستعراض بَراهينها لتَخليصها من الشُّبَهِ ثمّ التعبير عنها بأفصح عبارةٍ وأبْلغ إشارةٍ. ويمكن أن نُطلق على هذا المنهج اسمَ «التحرير» أو «التحقيق»، وكلاهما دالٌّ على طريقته في التعامل مع الآراء الواردَةِ في التُّراث الإسلامي بفروعِهِ جميعها.

ولتطبيق هذا المبدأ، كان ابن عاشور يمهِّد، مثل أسلافه، بمقدّمات لكُتبه بهَدَف بَيَان نظريّتِه المعرفيّة الخاصّة بفنون التفسير والحديث والعَقيدة واللغة والتاريخ الإسلامي في مختلف أدواره. ولذلك، صاغ الشَّيْخُ خطابًا يستعيد مُنطَلَقات علوم الدين ومواضيعها ومصادرها وحدودها وأغراضها. وتهدف فصول المقدمات التي صدّرَ بها كتبَه لإرساء أُسُس الممارسة التفسيريّة وبيان قواعدها من خلال صياغَة

المبادئ العامَّة لكل علمٍ. وهي تعكس بذلك طريقَتَه الخاصّة في الفهم والتأويل التي تغذّت من النَّظَر النقديّ لأعمال من سبقه من علماء الإسلام.

كما يرتبط مصطلح «التحرير»، بما هو مصدر مشتقٌّ من فعل: حَرَّر/ يُحرِّر، بمعنًى نشأ في البداية في الدّراسات التفسيريّة والفقهيّة، وخاصةً علم أصول الفقه. وفيها يشير إلى العمليّة الفكريّة التي تَفحص الآراء وتَنتَقدها قبل أن تصوغ خطابًا بَيّنًا، يعبِّر عنها بجلاء. ومن ثمَّ، صار يدلُّ، بعد التوسّع الاصطلاحي الذي شهده، على تحرير الخطاب من أي شكٍّ وشُبهَةٍ. ولهذا المُصطَلح ومشتَقّاته سوابق في الفكر الإسلاميّ، إذ يحمل، على سبيل المثال، كتابُ ابن عطية عنوانَ: «المُحَرَّر الوَجيز»، الذي ينقل عنه المؤلّف في كتُبه ويعتمد عليه. وقد اقترح ابن عاشور نفسه عنوانًا لأثَره المعلمي: «تَحرير المَعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد».

ومن جهة ثانية، يُقَدِّم ابن عَاشور أعمالَه كتصحيح للآراء التفسيرية السابقة، دون تمييز بين الفترة الزمنية، مع إيلاء اهتمام خاص بالفترة القديمة. فهو يعتمد على أساطين المفسّرين مثل ابن عطيّة في «المُحَرّر الوجيز»، والفخر الرازي، في «مفاتيح الغيب»، إلى جانب تفسير «الكشاف» للزّمخشري وتفاسير البيضاوي والألوسي والقرطبي وابن عرفة وابن جرير الطبري وغيرهم. ولا يعني ذلك البتّة أنّ هذا التراث برمّته قاصرٌ. لكنَّ الشّيخَ أراد أن يكون الحَكَمَ يَفْصِلُ بين آراء المفسّرين «تارةً لها وآونةً عليها»، من خلال العودة إلى الفهم العميق إلى تلكَ الآراء التي عُبّر عنها بشكل غامضٍ أو لاح فيها شيء من التّضارب. وهو ما يؤدي إلى تقديم الرّأي الأفضل والدفاع عنه بحُجج جليَّة. يقول: «فجعلتُ حقًّا عليَّ أن أبدي في تفسير القرآن نكتًا لم أرَ من سبقني إليها، وأن أقفَ موقفَ الحَكَم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، فإنَّ الاقتصار على الحديث المعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ما له من نفاد. ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر آخذ بِمِعْوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضر كثير، وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، عالما بأن غَمْضَ فَضلهم كفرانٌ للنعمة، وجَحْد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة، فالحمد لله الذي صدق الأمل، ويسَّرَ إلى هذا الخير ودَلَّ.»

ومن جهة أخرى، كان الشيخ يستعيد الأدلَّةَ والبراهين التي استخدمها علماء الإسلام السابقين لتقوية آرائِهم منطقيًّا. فقد سعى ابن عاشور إلى استبعاد التناقض الظاهريّ عند الانتقال من المقدّمَات إلى نتائجها أو البرهنة على حُكمٍ من الأحكام. ففي الغالب، لا يَتبع المفكرون المسلمون القدامى هذا المبدأ بشكلٍ صارم. ومن المعروف أنّ بعضهم كانَ أحيانًا يدافع عن الرّأي ونَقيضه ويعبّر عن آرائه بطريقةٍ صعبة الفهم. لذلك، أراد ابن عَاشور أن يضع حدًّا لهذا الغموض وأن يحرّرَ المَعنى الذي يلوح له بأكبر قدرٍ من الوضوح.

كما اتّبع ابن عاشور النزعة العقلانيّة انسجامًا مع الإصلاحيين المسلمين منتقدًا أيّ رأيٍ يتعارض مع العقل ولا يتماشى معه. ولذلك، ضعَّفَ القصصَ غير الواقعيّة والخرافات والإسرائيليات، مُفنِّدًا كلَّ خَبَرٍ لا تتوفّر فيه شروط العقل وصحة النقل. ففي عدة مواطنَ من أعماله، يَدحض المواقف التي اتّخذها بَعض أسلافه مبيّنا أنها لا تتلاءم مع قوانين الطبيعة ولا مع نَواميس العَقل، ومثال ذلك أنّه يرفض أن يكون النبيء محمد ﷺ قد سُحِر. يقول:

«الذي يَظهر لي أنَّ رسول الله ﷺ أصابَه مرضٌ في مدّةٍ قَارَنَه فيها محاولة لبيد بن الأعصم أن يسحره، وأنَّ الله بَشَّره في المنام بالشفاء، وجعل له علامة على ذلك أن أطلعه على ما حاوله لبيد بن الأعصم، ليكون ذلك خاسئًا لليهود؛ إذ كانوا يرهبون المسلمين بأنهم يسحرونهم، وكانوا زعموا عند مبدأ الهجرة أنهم سحروهم، فلا يولد لهم، حتّى وُلدَ للزبير ابنُه عبد الله. وكانت تلك العلامة كعلامة نسيان الحوت لموسى على موضع لقاء الخضر، عليه السلام، وأن الراوي خلط الخبرين فجعلهما خبرًا واحدًا، فشفى رسوله وشفى قلوب المؤمنين من خوفهم سحرَ اليهود. وأما قوله تعالى عن موسى: «فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى»، فذلك تخييل بسبب اضطرابات من عقاقير ونحوها كما يخيل لناظر من يدير جمرة بشدة السرعة أن بيده دائرة من نار؛ وذلك جائز لأنه يعلم أنه ليس كذلك. هذا قصارى ما يتأول به ظاهر هذا الخبر».

وفي مثال آخر، يرفض الشيخ ابن عاشور أنْ يكون القَمَرُ قد انشطر إلى قسميْن. ولذلك حاول تخريج الآية الأولى من سورة «القمر» حسب ما تقتضيه القوانين الطبيعيّة الثابتة وما يتقبّله العقل العلميّ المعاصر، دون تفنيدٍ لمَبدَأ «المعجزة» ولا وضعه موضع الشكّ، وبذلك ضَمن الشيخ توافقَ العقل مع الشرع وانسجام العقائد

الإيمانيّة مع الحقائق العلميّة، وهو عين المبدأ الذي اتبعه في سائر ما كَتَبَ، جَرْيًا على موقف الأشاعرة الذين يوائمون بين العقل والنقل وبين الوحي والرأي. يقول:

«وإذ قد حملَ معظم السَّلَف من المفسّرين ومن خَلَفَهم هذه الآية على أنَّ انشقاق القمر حصل قبل نزولها أو بقرب نزولها، فَبِنا أن نبيّنَ إمكان حصول هذا الانشقاق مسايرين للاحتمالات الناشئة عن روايات الخبر عن الانشقاق إبطالاً لجحد الملحدين، وتقريبًا لفهم المصدقين. فيجوز أن يكون قد حدث خسف عظيم في كرة القمر أحدث في وجهه هوة لاحت للناظرين في صورة شقه إلى نصفين بينهما سواد حتى يخيل أنه منشق إلى قمرين، فالتعبير عنه بالانشقاق مطابق للواقع لأن الهوة انشقاق وموافق لمرأى الناس لأنهم رأوه كأنه مشقوق. ويجوز أن يكون قد حصل في الأفق بين سمت القمر وسمت الشمس مرور جسم سماوي من نحو بعض المُذَنَّبَات حجب ضوء الشمس عن وجه القمر بمقدار ظل ذلك الجسم على نحو ما يُسمّى بالخسوف الجُزئيّ، وليس في لفظ أحاديث أنس ابن مالك عند مسلم والترمذي، وابن مسعود وابن عباس عند البخاري ما يناكد هذا.»

ويتّصل هذا المجهود بإيضاح المُشْكل ونَفْي الغموض لأنّ إحدى المهامّ الدقيقة التي اضْطَلع بها ابن عاشور تتمثل في حلّ النقاط الإشكاليّة التي يُسمّيها القدماء: «المُعضِل» أو «المُشكل»، وهي نقاط تثير الشكّ وتتضمن تناقضات ظاهرة وقد تمسُّ تماسك الخطاب بِرُمَّته. وهو ما يستحقّ تعمقًا أكثر لإزالة أيّ سوء فَهم. وقد أشار ابن عاشور إلى عدّة أمثلة مثل إعضال الآية الثانية من سورة البَيّنة. وبهذا التأمل، يتماهى مبدأ «التحرير» مع التدقيق الذي يتَدَبَّر المعنى ويزيل الشكوك والمفارقات التي تحوم حَوله. إذ الهدف من التحرير إيضاح الكلام الإلهيّ وإزالة ما يعلق بفهمه من الإغماض والتعسّر. فَـعَلَى المُفسِّر أن يصلَ في نَصِّ شرحه إلى ما وَصَل إليه النصُّ المُفسَّر، أي القرآن أو الحديث، من البيان والظهور. ولطالَما اجتهد ابن عاشور في تقديم مراد الله تعالى بأمانة عبر تقصّي مَظانّ المعنى والوقوف على الحِكمَة التي أودعها الحقُّ تعالى في كلامِهِ. وهذا هو المعنى الدقيق الذي يُضيفه، في أول مقدمات التفسير، لمصطلَحَيْ الفَسْر والتفسير.

وعلى صعيد آخر، سعى الشيخ ابن عاشور إلى تطوير علم العقيدة حسب المَنهج الأشعريّ. ولأسباب غير معروفة، لم يعتن القُرّاء بمساهمته في تثبيت آراء هذا المذهب الكلاميّ، مع أنّه لم يترك فرصةً تمرّ دون توضيح مبادئه والدفاع عن خياراته. ويرتبط

مُصطلح «التحرير» في هذا المجال العَقَدي بمفهوم الاستدلال والبرهنة، ومن ذلك ردّه على الزّمخشري حول مسألة أفضلية جبرائيل على النّبي محمد ﷺ. يقول: «وقد زَلَّ فيه صاحب «الكشّاف» زلّة لا تليق بعلمه. والمقصود من نفي الجنون عنه إثبات ما قصد المشركون نفيه وهو أن يكون رسولاً من الله لأنهم لما نفَوا عنه صفة الرسالة وضعوا موضعَها صفة الجنون، فإذا نفي ما زعموه فقد ثبت ما ادعاه».

كما أكّد الشَّيخُ، في كلّ أعماله، على مفهوم النّظم البياني وطبّقه بكلّ براعة على القرآن بأكمله ضمن مقاربة منهجيّة تَشرح الآيات وتظهر تناسق اللفظ والمعنى في نسيج واحدٍ رابطًا بين ما سبق من الكَلِم وما لحقها، فضلاً عن ذكر أسباب النزول وتجلية جوانب الإعجاز البلاغيّ. فهو يذكر، لدى شرح كل آية وحديث وحكمةٍ، خواصّ الأسلوب ودقاق البلاغة، لأنه يرى أنّ جميع الآيات تتضمنّها ضرورةً. ولذلك، دَرَسَ روابط السياق وتماسك الآيات بالاعتماد على نظرية شيخ الصّناعة عبد القاهر الجرجاني (ت. 1078م) وعلى أنظار برهان الدين البقاعي في «نظم السور» والرازي في «مفاتيح الغيب». ولم يتخلّ المؤلف، طوال شروحه، عن هذا النهج. وهنا يكون «التحرير» منهجيّة موضوعية تسلط الضوء على الموضوعات والمحاور التي تحكم السور وتنظم ترتيبَ معانيها ومبانيها. كما تسعى إلى التعليق على موضوعات كل سورة حتى لا يكون التفسير مجرد شرحٍ لكلمات القرآن وجمله، غير كاشفٍ عن الخيط الناظم لها ولا مبدٍ لجمال تناغمها.

ولا ننسى في هذا المجال أنّ ابن عاشور كان عضوًا في «مجمع اللغة العربية»، بكل من مصر ودمشق. وبهذه الصفة، اهتمّ «بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبطٍ وتحقيقٍ مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة». فهو يشرح الكلمة في أول ظهورٍ لها، وإذا ظهرت ثانيةً يذكّر المعنى الذي سبق رؤيته ويربط أحدهما بالآخر؛ ويهدف هذا النهج في منظور التحقيق إلى إظهار تماسك النص القرآني وعدم وجود أيّ تناقض بين موارده لأنّه مجموعٌ مسبوكٌ «يأخُذ بعضُهُ برقاب بعضٍ».

كما ارتبطت هذه الأعمال الكاملة برؤية مقاصديّة حيث فرض ابن عاشور خطاً فكريًّا ثابتاً نتج عن رؤيته المقاصدية التي لا تتقارب الأحكام الشرعيَّة من خلال معناها الحرفيّ، لكن من خلال الوقوف على أغراضها الروحية والمجتمعيّة التي تتلخص في الحفاظ على الكلّيات الخمس: الدين والعقل والمال والنفس والنسب. فعند شرح الآيات والأحاديث والبحث عن معانيها يسعى إلى استخلاص غايات الشريعة

ومقاصدها من خلال مقولةٍ مفادها أنَّ العبادات والمعاملات معقولة المَعنى ضرورةً. فمهمة المجتهد، في رأيه، شرح مقاصد الأحكام بعد انتزاعها من مظانها وبيان عِللها. ولذلك، استخلص المؤلف من نصوص القرآن والحديث أهدافًا أخلاقيّة واجتماعيّة تتلاءم مع مقاصد الشريعة، لأنّها نصوص هَدْيٍ معقولة المَعنى والعِلَل.

ولم يهمل ابن عاشور التأريخ حيث سعى إلى تقديم تواريخ دقيقة لنزول الآيات والسُّوَر وحسم النقاشات حول زمن نزولها، وما إذا كانت مكيّة أم مدنيّة. وهو ما يساعد في وضع المعنى في سياقه التاريخي ويعين على تحديد مفاهيم المصطلحات الدينيّة. فعلى سبيل المثال، نعلم أنّ الزكاة شُرعت في المدينة المنورة، وبالتالي لا بدّ من تفسير الآيات السابقة لهذا الفَرْض، والتي تحتوي على كلمة «زكاة»، بطريقة تراعي هذا التطوّر التشريعي. وينطبق الأمر نفسه على العديد من المصطلحات القرآنية والحديثية التي لا بد فيها من الرّجوع إلى تاريخ النزول والورود لتقرير ما إذا كانت مستخدمةً في معناها الأصليّ أو الاصطلاحيّ.

ولهذا التحقيق التاريخي صلة بعرض سير الشّخصيات الإسلاميّة. فكلما ورد اسم أحد الأنبياء الخمسة والعشرين أو الصّحابة وحتى الأشرار، كيأجوج ومأجوج، أو شخصيات تاريخية مثل الاسكندر المقدوني، كَتَبَ ابن عاشور عن سيرة تلك الشخصية وآثارها، بشكل مستقل عن شرح الآية أو الحديث، بهدف وضع القصص القرآني في إطاره التاريخيّ. وأحيانًا يعود، وهذا نادرٌ في المؤلفات الإسلامية، إلى دراسات بعض المستشرقين الثّقات الذين تناولوا مثل هذه الأبحاث. ويُفسّر هذا الاهتمام بالتاريخ بميله العقلاني نَسجًا على منوال سَلَفِه ابن خلدون الذي يقتبس منه أيضًا والذي يعتبر الماضي مجالًا للمعرفة التجريبية التي يمكن التحقق منها.

وفي حقل الحديث النبويّ، سعى ابن عَاشور إلى اعتماد الأحاديث الصّحيحة فقط، معتبرًا أنّ عدد هذه الآثار الموثوقة كافٍ ولا داعي لإضافة قصص أو أقوال واهية مشكوك في متنها أو سندها. وهو في ذلك يسير على هَدْي مَدرسة الإمام مالك بن أنس الذي كان متحفّظًا في قبول الحديث الضعيف، رادًّا للآثار الموضوعة والمُدَلَّسة. فالتحرير هنا أقرب إلى الاحتياط والتّثبت في قبول الأحاديث والأخبار الصّادرة عن الرسول وعن الصحابة وأجيال التابعين. هذا، وقد دَحض الغالبية العظمى من الروايات والقصص التي تكثر في كتب التراث بالاعتماد على مَنهج الجَرح والتعديل؛ وغنيّ عن البيان أنّ ابن عاشور يرفض «الإسرائيليات» التي ليس

لها أساس تاريخي أو عقلاني. ويأتي هذا المنزع من تمكنه من علوم الحديث وإتقانه لفنون النقد والجرح والتعديل للروايات.

ومن الممكن أخيرًا إدراج مفهوم «التحرير» في منظور النهضة العقليّة ومسار المراجعة الذي بدأه محمد عبده (ت. 1905) والذي سعى مع جمال الدين الأفغاني إلى إعادة النظر في جميع المواضع الإشكالية في الفكر الإسلامي وتقديم بعض الردود على ادعاءات المستشرقين حول مواضيع حساسة مثل تعدّد الزوجات ومصير نبيء الله عيسى وصَلبه. ولذلك، فإن بقيّة عنوان التفسير (التنوير) تؤكد هذا التوجه، وعمله يندرج ضمن مشروع «التنوير» الإسلامي ومساعدة المسلمين على الخروج من عصر التدني الفكري والعلمي.

وبالتالي، يرقى التّحرير إلى ممارسة الترجيح، وفي حالة وجود آراء متناقضة يختار الشيخ منها ما هو أقرب إلى مراد الله. وقد نافح الشيخ عن اختياراته هذه وأثبَتَ أصولَها بما يَتَوَافق مع قواعد العربية والعقائد الأشعريّة ومقاصد الشريعة الإسلامية. كما عبّر عن ترجيحاته بأسلوب قويّ سلسٍ، منتقدًا صياغةَ أسلافه التي كانت غامضة في بعض الأحيان. ولذلك، وَرَدَت هذه المجلدات بأكبر قدر من الوضوح والدقة وصفاء العبارة، وليس «التحرير» سوى تحسين الصياغة التعبيريّة وجماليّتها بعد تمثّل المفاهيم.

وتجدر الإشارة ختاما إلى أنّ فكرَ الرّجل نُخبويّ، مُؤَلَّف في لغة علمية و«اصطلاحية». وقد لا يتمكّن القارئ الذي ليس لديه ما يكفي من الزاد العلمي من استيعاب هذه الصّفحات. فهو يكتب كعالِمٍ يبدأ من المُسلمات العقائدية التي يُفتَرض أنها صحيحة ثم يسعى للدفاع عنها ويستخدم زادًا معرفيًّا دقيقًا. ويُشار أيضا إلى أنّ ابن عاشور سَكَتَ تمامًا عن المفسرين المعاصرين له، إذ «لا عِلمَ إلا علم القدماء». كما لم يلتفت إلى الأحداث المعاصرة التي هزّت الساحة الدولية في زمانه، ولا سيما الحربين العالميَّتَين والاستعمار الذي طاول شررُه العديد من البلدان الإسلامية. فهل هي الصّرامة العلمية التي تمنعه من إدماج أي عنصر خارجيّ عن الفكر التراثي؟

ومن المعلوم أنَّ قلم العلامة ابن عاشور قد جال في كلّ ألوان المعارف الإسلاميّة وتطرّق إلى مضامينها، لا لمجرد العرض والاسْتِعادة، وإنّما بغرض التمحيص والتحقيق، فكان من كُتبه ما تناول أصولَ الفقه وأشهرها: «مقاصد الشريعة

الإسلاميّة»، الذي أصّل فيه للعِلَل والمَقاصد رابطًا إيّاها بالكليات الخمس، ومنها ما كان نُصوصَ فَتْوى، أجاب بها عن أسئلة عمليّة عُرضت عليه في النّصف الأول من القرن العشرين. كما جال يَراعُهُ المُشرق في قضايا الإصلاح، فَخصّص لها أحد أول كُتبه «أليسَ الصّبح بقريب؟»، كما هَدَفَت رائعتُه: «أصول النظام الاجتماعيّ في الإسلام» لبيان ركائز النهضة وما عليه يقوم ازدهار الجامعة الإسلاميّة، ولم يغفل السيرة النبويّة حيث حبَّرَ فيها «قصّة المولد» وسلسلة مقالات ناهزت العشرة حول الإرشاد النبويّ وسائر شَمائل السّيرَة العطرة ومناراتها المنيفة. ولم ينسَ الشّيخ، رغم أعماله الجسيمة ومسؤولياته الجليلة، أن يعكف على كتب اللغة ودواوين الشعر فحقق منها ديوانَ بشّار بن برد والنّابغة الذبياني وكتاب «الواضح في مشكلات شعر المتنّبي» للأصفهاني، عدا عشرات المقالات المبثوثة في المجلات العلميّة، ساعده في ذلك قلمٌ سيّالٌ وذكاء وقّاد وفَتح من الله لا يُحَدُّ، نَفَذَ به إلى أمهات المسائل العويصة، فأبانَ عنها بأقرب عبارةٍ وأرقاها.

يَحمل مصطلحُ «التّحرير» صدى آية قرآنيّة مأتاها عبارة «القول السّديد» (القرآن: 3، 75) ودوّن ابن عاشور مجمل آرائه في مجال الكلام الطيب آملا أن يَصل عَمَلُه إلى جمهور متقبِّل ليحقق هدفه الإصلاحي الذي يسير جنبًا إلى جنب مع تنوير العقول والقلوب. فبعيدًا عن كونه كلمة أُدرجت لأسباب عَرَضيّة، يقابل مصطلح «التحرير»، كلمة التنوير ويكملها، وكلاهما يهدف إلى ترشيد الفكر الإسلامي وجعله «عِلمًا» بكلّ المعايير التي تجعل منه منهجًا متكاملا. ولا مثيل لهذه المجموعة المباركة في الفكر المعاصر والحديث، فقد احتوت دُرَرًا من النظر الفسيح وغُررًا من التأليف الرّجيح، الذي لم يترك شاردةً ولا واردةً، إلا وأحصاها وبَيّنها وأجلاها.

والمأمول أن يعكفَ أربابُ الفكر والقلم على هذا البَحر الزاخر وأن يَغوصوا في أعماقه لاستخراج جواهر المعارف ولآلئ اللطائف التي تفيد قارئَها علمًا وإيمانًا، حكمةً نظريّةً وعمليّةً، يقطع بها وعثاء الغابر والحال والآتي، وليس أرقى من التدبّر سبيلاً إلى الرقيّ في الدنيا والنّجاة في الآخرة.

د. نجم الدين خلف الله

باريس يوم 16 ديسمبر 2023.

دور الإعلام العربي في الرد على حملات تشويه الإسلام [1]

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب

شيخ الأزهر

اعرب عن شكري لنادي دُبي للصحافة؛ لدعوتي للمشاركة في هذا المنتدى الإعلامي الكبير، والذي أصبحَ - بعد قرابة ربع قرن من عُمْرِه- منصَّةً مهمة للنقاشِ الفكريِّ والإعلامي في عالمنا العربي والإسلامي.

كما أُعرِبُ -أيُّها الجَمْع الكريم- عن تقديري مناقشتكم دورَ الإعلام العربي في مُواجَهةِ التَّحديات الأخلاقيَّة الحديثة، وفي ظلِّ عالمٍ معاصرٍ مفتوح يَموجُ بالطفراتِ والأزماتِ الإنسانيّة والأخلاقيَّة المتلاحقة .

وإنِّي لأتمنَّى أنْ يُوفِّقَ اللّٰه القائمينَ على هذا المؤتمر والمُشاركينَ فيه، للوصولِ إلى استراتيجية إعلام عربيٌّ مَشترك قابلٍ للتطبيقِ، وقادرٍ على التّعبيرِ عن واقع هذه الأمَّة، وعن آلامِها ومَآسِيها ومُؤهَّلٍ لحماية شبابنا، وقد أوشكَ على الوقوع فريسةً في شباكِ منصَّاتٍ رقميَّةٍ تتحكَّمُ في توجيهِ مشاعره وعواطفه، وتعمل -جاهدةً- على تغييبِه عن واقع أُمَّته وعن مُواجَهةِ تحدِّياتها، بل وأوشكت أن تُزيِّنَ له سوءَ عَمَلِه بهَدْمِ الفوارق وإزالة الحدود بين الفضيلةِ والرذيلة في أذهان كثيرين منهم، ومع تسويق شعاراتٍ زائفةٍ وشديدة الإغراء، مثل: التقدُّم والانفتاح والحُريّة والحَداثة ونبذ الرجعيَّة

(1) نص مداخلة فضيلة شيخ الأزهر المنتدى الإعلامي لنادي دبي للإعلام ماي 2025

والظلاميَّة والتَّخَلُّف، وشعاراتٍ أخرى أصابت بلادنا بشيءٍ غير قليل من الأمراض المجتمعيَّة التي أثّرت بالسلب على الذَّوقِ العامِّ والفطرة السَّليمة، واضطربتْ بسببها معايير الحُسْن والقبح، وموازين الخطأ والصَّواب.

لقد عانَّينَا نَحْنُ – العرب والمسلمين– من رسائلَ وتقارير إعلاميَّة شوَّهت صورتَنا في مرآة الغرب، بعدما ربطت بين الإسلام وبين العُنفِ والتطرُّف، وظُلم المرأة، وصَوَّرته زُورًا وبُهتانًا– في صورةِ (حركةٍ اجتماعيَّةٍ) أو (أيديولوجيَّة سياسيَّة) تدعو للعُنفِ والتَّعصُّبِ والكراهيةِ والتَمرُّد على النِّظامِ العالمي.

وقد تولَّى الإعلام الغربي كِبر هذه المفتريات، ولا يزال يُمارِسُها حتى يَوْمِ النَّاسِ هذا.. وأكتفي في هذا المقام

بالاستشهادِ بما سَجَّله الكاتبُ والمفكِّر المسيحي المُنصف: الدكتور إدوارد سعيد في كتابِه الذَّائع الصِّيت: (تغطيةِ الإسلام)، حيث يقولُ – في وصفٍ تناول الإعلام الغربي لهذا الدِّين، الذي يَدينُ به ما يَقرُب من ملياري مُسلم في شرقِ العالم وغربِه–: («لقد أَظْهَرت البُحُوث الدَّقيقة أنَّه لا يَكاد يوجد برنامج تلفزيوني في وقتِ الذُّروَة دونَ عِدَّةِ حلقاتٍ تحتوي على صورٍ نمطيَّةٍ عُنصريَّة، ومُهينة للمُسلمين، وبالتالي يُعتبر المسلم الواحد ممثّلا لجميع المسلمين وللإسلام بشكل عام)»، ويتساءل المفكر الكبير عن كُتُب المدارس الثانوية، والروايات، والأفلام، والإعلانات: كم منها يُقدِّم معلومات حقيقية عن الإسلام ناهيك عن أنْ يكون مَديحًا له؟

الجواب: لا شيءَ على الإطلاق.

ومِمَّا يُؤْسَف له – أشدَّ الأسف– أنَّ كثيرًا من الصُّور المضلِّلة تسلَّل إلى بلادِنا، وانعكست آثاره –سَلْبًا واستِلابًا– على خطابِنا الإعلامي العربي، واستُخدمت في سبيلِ هذه الخُطَّة شخصيات من بَني جِلدتنا بَرعوا في تصديرِ ثقافةٍ زائفةٍ، تُعنى بنقدِ كل ما هو عربيُّ المنشأ أو إسلامي الفكر والتوجُّه، ممّا زاد من جسامةِ التَّحدِّيات الرَّاهنة، وفي مقدمتها توسيعُ الفجوةِ بين وَعْينا المعاصر، وبين تُراثنا الذي كان بالأمسِ القريب من أقوى مصادر عِزنا وفخارنا وصمودنا في وجهِ العابثينَ بماضي هذه الأُمَّة وبحاضرِها

إنَّ هذه الورقةَ المتواضعة والمُثقلةَ بالآلام، وإن كانت مفعمة بالآمالِ أيضًا، لا يُمكِنها أن تعرض الكثير مِمَّا يُؤرِّقُ المهمومينَ بهموم العرب والمسلمين، ويألمون

لآلامهم، وذلك لضيق مساحة الكلمة وزمنها، إلا أنَّ بإمكانِها أنْ تختصرَ القول في أمرِ هذه الهموم فيما يلي

أوَلَا، ما أظُنُّ أنَّ مُنصِفًا -في الشَّرقِ أو في الغَرب- يتمارى في أنَّ القضيةَ التي يجبُ أنْ تدور عليها ماكينةُ الإعلام العربي صباحَ مساءَ، هي: قضيةُ (غزَّة) وما نزل بساحتِها من حروبٍ ودمارٍ، وما صاحبها من انتهاكاتِ بشعة أنكرتها شعوبُ العالم ولا زالت تنكرها وتزدريها وعلى مدى تسعة عشرَ شهرًا مُتواصلة

وهنا تبرز الأهمية القُصوى والمسئوليَّة التاريخيَّة المُلقاة على عاتق الإعلام العربي، ودوره في الكشفِ المستمر عن مظلوميَّةِ أصحابِ الأرض وأصحاب الحق، وإبراز صمود هذا الشَّعب وتشبثه بأرضِه، وإبقاء قضية فلسطين شُعلةً مُتَقِدة في وجدانِ شعوبِ العالم شرقًا وغربًا

هذا؛ وإنَّ مِن واجِبِ الإنصاف أنْ نُقدِّر وأن نُرحِّبَ بما نَشْهَده اليوم من تَغيُّرٍ في مواقفِ دولِ كثيرةٍ من دولِ الاتِّحادِ الأوروبي حيال ما حدثَ ولا يزالُ يحدُث في غزَّة، ونُحيِّي كثيرًا يقظةَ ضَميرهم الإنساني النَّبيل

كما أحيِّي في الوقت ذاته الموقف العربيَّ الصامد في مواجهة آلة العدوان، والساعي لوقف فوري لإطلاق النار، وتسهيل دخول المساعدات الإنسانية والإغاثية رغم تغطرس الاحتلال، وكذلك أحيي كل أحرار العالم الذين يرون فيما يحدث جريمة إنسانية يجب وقفها على الفور

ثانيًا: ما زلنا ننتظرُ الكثير من جهودِ إعلاميَّةٍ مُكثَّفة تُبذَل لمُواجَهةِ الظَّاهرة اللَّقيطة المُسمَّاة بظاهرةٍ: (الإسلاموفوبيا)، والتَّصَدِّي لآثارِها السَّيئة في الشَّارع الغربي، رُغم أنَّها لا تَعْدو أنْ تكون وَهْمًا أو خَيَالًا مريضًا صُنِعَتْ منه تهاويل لتشويه صورة الإسلام والحَطِّ من مبادئِه التي تقومُ على السَّلام والعَيْشِ المُشترك، وذلك على الرغم مِمَّا هو ثابتٌ من حقوقِ الإنسان والحيوان والنبات والجماد في شريعة الإسلام، ولا نعرفُ له مثيلا في قوانينَ وأنظمةٍ وسياسات مُعاصرة طالما تغنَّى بها واضعوها، وعَيَّرونا بافتقادها، وما إنْ جاءت كارثةٌ شعب غزة حتى انكشف الغطاء وسقط القناع، وما خفي كان أعظمَ وأَطَمَّ.

ثالثًا: لم تقتصر حملات الإعلام الغربي على مهمَّةٍ تشويه الإسلام، وما نشأ في ظِلالِه من حضارةٍ كُبرى يَعرف الغربيّون قيمتَها وقَدْرها وإسهامها في تنوير البشريَّة،

وتعليمِها وترقيتِها، بل تعدَّتها إلى مهمةٍ أخرى هي: محاولةُ الطَّعن في ثوابت حضارة الشرق وأصول أخلاقيَّاتها واجتماعها الإنساني والأسري، والدَّعوة إلى طَمْسِ معالم هذه الأخلاق، وقد نادَتْ هذه الحملات بالحُريَّةِ الشخصيَّة أوَّلا، حتى لو أدَّى ذلك إلى تدميرِ الأُسرة وتغيير شكلها، والاستبدال بها أنظمةً أخرى تضربُ حقوق الأطفال في مَقتل، وتبيح اقتراف ما حرَّمته الشَّرائع، بل الذَّوق الإنساني والأعراف البشريَّة، وسمحت بأنْ يتزوَّج الرَّجُلُ الرَّجُلَ، والمرأةُ المرأَة، جنبًا إلى جنب إلى تسويغ الإلحاد والتَّمَرُّد على فِطرة التَّديُّن، وفي مَسْعَى يهدفُ إلى تجفيفِ كل مَنابع القُوَّة والاستقلال ومشاعر الاعتزاز بالشخصيَّة العربيَّة والإسلاميَّة؛ وكلُّ ذلك، أو بعضُه، جديرٌ بأنْ يَضَعَ في رقابِنا جميعًا – وبخاصَّةِ الإعلاميّون – أمانةَ التفكير الجادّ في كيفيةِ التَّصَدِّي لهذه الرياح المسمومة وإنقاذ شبابنا وأوطاننا مِمَّا تحمِله من عوامل الاستلاب والفناء والذوبان.

إنَّ التطورَ التّقني والتكنولوجي الذي يَشهده عصرُنا الحاضر، **في مجالِ الذَّكاء الاصطناعي لا بُدَّ أنْ يُحاطَ بسياجٍ مِن المسئوليةِ الأخلاقيَّة والضَّوابط المهنيَّة، وذلك حتى لا ينقلبَ إلى وَحْشٍ كاسرٍ يُهَدِّدُ الإنسانيَّة بأَسْرِها، والمسئوليةُ هُنا تَقعُ على عاتقِ الخُبراءِ والمُشرِّعينَ، وعليهم وحدَهم حراسةُ هذه التَّقنيات من الانحراف عن غاياتِها الصحيحةِ، انطلاقًا مِن مبادئَ إنسانيَّةٍ بعيدة كل البُعد عن أغراضِ الهَيْمَنَةِ والسيطرةِ والغَزو الثَّقافي.**

ولا يفوتني هنا أنْ أُشيرَ إلى أنَّني، كنتُ بدأت مع الأخ الرَّاحل البابا فرنسيس، مشروع إصدارِ وثيقةٍ **جامعةٍ حولَ أخلاقيَّات الذكاء الاصطناعي**، وقد قطعنا في إعدادِها شوطًا طويلًا، وكانت على وَشْكِ الظُّهُور لَوْلَا أنَّ الأقدارَ شاءتْ – برحيل البابا – ترتيبًا آخَر، ونحنُ على تواصُلٍ مع الفاتيكان في عهدِه الجديد لإتمام هذا المشروع، ونأمَل أنْ يكونَ قريبًا بمَشيئتِه تعالى!

يقتضي واجبُ الوفاء أنْ أسْتَحضِرَ –معكُم– مأساةَ زملائكم الصحفيِّين الفلسطينيِّين، وغيرِهم مِمَّن شاءت أقدارُهم أنْ يَدفعوا حياتَهم ثمنًا لشرفِ الكلمة وحُرْمَة الحقيقة وتصوير الواقع دونَ تدليس أو تزوير، وقد استُشهدَ منهم ما يزيد على مائتي إعلاميٍّ على تُرابِ غزَّة، وآخَرونَ غيرُهم مِمَّن أُصيبوا بجروحٍ بالغة، أو مِمَّن بُتِرَتْ أَطرافهم، أو هُدِّمَت بيوتُهم، أو فَقَدوا أُسرهم، أو تشرَّدت عائلاتهم

إنَّ هذا الاستهدافَ الممنهج للصحفيِّين في غزَّة إنَّما يهدفُ إلى إسكاتِ صوتِ الحقيقة، ومنع الصُّورة الشَّاهدة والفاضِحة لبشاعةِ العُدوان، وطَمْسِ الأدلَّة وتَضليل العَدالة والحَيلُولة دونَ توثيقِ الجرائم التي تُرتكبُ آناءَ الليل وأطرافَ النَّهار، ومِن هذا المنطلقِ فإنَّني أدعو كلَّ مَنْ ينتسب إلى مهنة الإعلام النبيلة، أنْ يُشاركَ في وضعِ استراتيجيةِ إعلامٍ عربيٍّ، تكون دِرعًا يحمي الحقَّ، ويَصون قِيَمَ الأُمَّة ويحفظ هُويَّتها.

وأختم بالتأكيد على أنَّ الأزْهَرَ الشَّريف لَيُسْعِدُه كثيرًا أنْ يكونَ معكُم، وداعمًا لكُم في تحقيقِ هذا الواجب المُقدَّس

شُكْرًا لَكُم،

والسَّلامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه

أ.د. أحمد الطيب

شيخ الأزهر

تحريرًا بمشيخةِ الأزْهَر الشَّريف

في: 28 من ذي القعدة سنة 1446 هـ/ الموافق: 26 من مايو سنة 2025 م

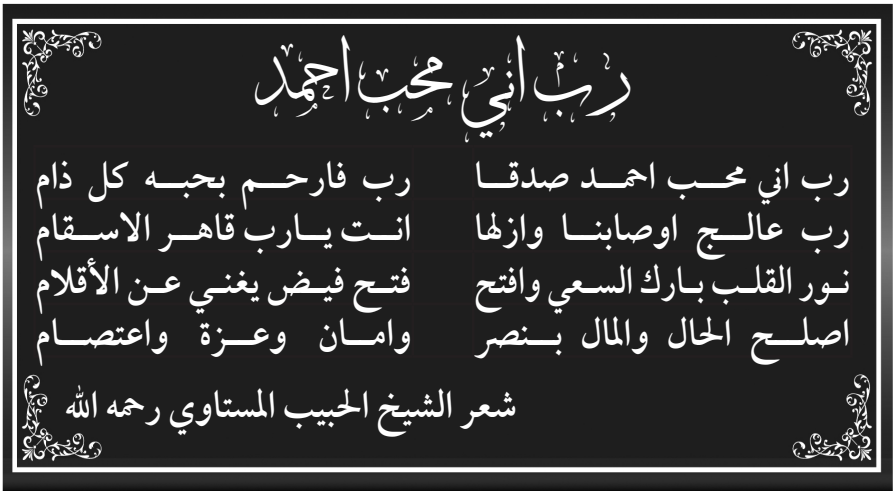

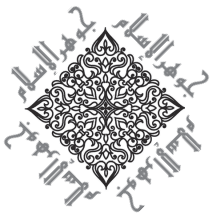

الحديث الثالث والثلاثون من الأربعين النووية:
البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر»

حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا وبعضه في الصحيحين

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقد سبق أن أوردنا نتفا من سيرته وما عرف به من علم غزير وفقه في الدين «**ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**» وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» فكان ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعلم أصحاب رسول الله رضي الله عنهم فما من آية من كتاب الله العزيز إلا ويعلم رضي الله عنه متى نزلت وأين نزلت وفيمن نزلت.

وهذا الحديث «**لو يعطى الناس بدعواهم**..» من جوامع كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جانب آخر من هديه لامته في مجال هام ودقيق وحساس اعتنى به الإسلام وحدد فيه الحدود وعرف فيه بالحقوق والواجبات كل ذلك نفيا للظلم والعدوان الذي حرمه المولى جلّ وعلا عل نفسه وجعله بين عباده حراما.

هذا الحديث يتعلق بحقوق العباد على بعضهم البعض وهذه الحقوق عديدة فصلت البعض منها أحاديث سيأتي ذكرها في الإبان.

وهذا الحديث يحذر المسلم من مغبة التعدي على حقوق الناس واغتصاب أموالهم وقد ألح الاسلام على حرمة مال المسلم وحرمة عرضه وحرمة دمه في حجة الوداع حيث قال عليه الصلاة والسلام «**ألا وان أموالكم وأعراضكم ودماءكم بينكم حرام كحرمة البلد الحرام والشهر الحرام ألا هل بلغت اللهم فأشهد**»

ويعتمد الإسلام في الحفاظ على الأموال والأعراض والدماء على كل الأسباب التي من شانها أن يتحقق بها المرجو والمطلوب والتي منها التشريعات والأحكام الرادعة ولكن أيضا منها ما في قلب المؤمن من إيمان بالله الذي يعلم الظاهر والباطن من عباده فهو سميع بصير خبير «**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**» ولا يمكن الإفلات من عقابه فالله تبارك وتعالى يمهل ولا يهمل وعقابه عاجل وآجل ولأجل ذلك فانه على المؤمن أن يراقب ربه في كل ما يأتيه من التصرفات وعلى المؤمن أن يحذر من مغبة المغالطة والتحيّل والاستحلال لأموال الناس بالباطل فهي سحت وهي نار لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما اسمع منه فلا يأخذه فإنما اقتطع له به قطعة من النار**».

فالمؤمن خشية من الله وخوفا من شديد عقابه يمنعه إيمانه أن يأخذ ما ليس له حتى ان استطاع بما أوتيه من حجة وقدرة على الإبلاغ فيجعل الحاكم يقضي له ويعطيه ما ليس له، والمؤمن حقا يعين على الوصول إلا الحق حتى ولو كان ذلك على حسابه وليس لفائدته وتلك خاصية جعلها الله تبارك وتعالى في أحكامه التي فيها كلها الفلاح والصلاح العاجل والآجل.

إن الإيمان إذا قوي في القلوب يغني عن كل العقوبات ويجعل المؤمنين يقفون عند حدودهم لا يتجاوزونها ولا يستحلون حقوق غيرهم.

فهدف الإسلام هو الوصول إلى هذه الدرجة العالية من السلوك القويم والتعايش بين الناس في كنف السلام والوئام والتقدير المتبادل والحب الصادق في الله ولله وفي الحديث «**لا يكون أحدكم مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» والمسلم الحق هو من سلم الناس من لسانه ويده

إن المعاملة الحسنة هي عنوان التدين الصادق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم**».

إن هذا الحديث «**لو يعطى الناس بدعواهم...**» هو توجه صوب تحقيق الغاية المنشودة ألا وهي الحفاظ على أموال الناس ودمائهم وأعراضهم بكل الطرق وبكل الوسائل.

فالإنسان ظلوم جهول وهو شديد الغفلة وكثيرا ما يجهل ويظلم ويعتدي لذلك وجب تنبيهه وتحذيره من مغبة الوقوع تحت طائلة غضب الله وعقابه الشديد

إن نفس الإنسان أمارة بالسوء وكثيرا ما يستحوذ عليها الشيطان فيوردها المهالك، فالدنيا فتنة والرغبة في الاستزادة منها بكل الطرق والوسائل هو شأن اغلب الناس إلا من رحم ربك وواقعية من هدي الإسلام اتخذ من الوسائل ما من شأنه أن يحفظ الحقوق ويعصم الأموال والأعراض والدماء.

وجعل الله لأولي الأمر القائمين على شؤون الناس من الصلاحيات ما به يبلغون المراد والمطلوب الذي هو الحفاظ على الحقوق من أن تنتهك ومن الظلم من أن يتسلط من الناس على بعضهم البعض.

ومن القواعد التي سنها الإسلام وارشد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة «**البينة على المدعي واليمين على من أنكر**».

فالقاضي الحاكم بين الناس بالعدل وهو على درجة كبيرة من المسؤولية أمام الله فهو إن عدل وأوصل الحقوق إلى أصحابها ومنع الظالم من أن يظلم موعود بالجنة «**قاضيان في النار وقاض في الجنة**» وهو الذي عرف الحق وحكم به، القاضي الذي هذه حاله تحت ظل عرش الله وليس بين دعائه وبين الله حجاب، هذا القاضي الذي رائده مرضاة الله وإيصال الحقوق إلى أصحابها ومنع التجاوز والظلم والعدوان، كل الناس لديه سواسية قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه «**أيها الناس القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه**»

إن القاضي الحاكم بين الناس لا تأخذه في الحق لومة لائم رائده مرضاة الله وحده وسبيله في الوصول إلى غايته هو التثبت والتحري وإقامة الحجة والبرهان حتى إذا اطمأن قلبه صدع بحكمه وأعطى كل ذي حق حقه.

إن مجرد الادعاء وهو أمر وارد لكنه لا يكفي لوصول المدعي إلى ما يريد ذلك أننا إذا مكنا كل مدع مما يدعيه لما ارعوى البعض عن ادعاء الحق في أموال الغير ولطالبوا بدمائهم.

وسدا للذريعة واحتكاما إلى ما يطمئن القلوب ويحقق الراحة النفسية وما يرضي الله وضع الإسلام هذه القاعدة الجليلة المتفقة مع المنطق السليم

وضع الإسلام هذه القاعدة «**البينة على المدعي واليمين على من أنكر**» فكل مدع لحق من الحقوق لا بد له من الإتيان بالحجة والبرهان والدليل القاطع على ما يدعيه هو فعلا وحقيقة له.

والبينات والقرائن والحجج وهي مما يتعارف عليه الناس ويسلمون به متنوعة ومتعددة من بينة إلى أخرى وحسب كل زمان، ويمكن أن تتصور هذه البينات في الرسوم الموثقة فمن قدم ما يثبت حقه في شيء من الأشياء يمكنه الحاكم (القاضي) من ذلك الحق بكل طمأنينة وراحة بال ومن لم يقدم بينة يبقى ادعاؤه مجرد دعوى لا يصل بها إلى ما يريد الوصول إليه.

وقد جعل الإسلام من أسباب إيصال أصحاب الحقوق إلى حقوقهم ومنعها من الاعتداء عليها اليمين.

فالمنكر لما ادعى به عليه ينبغي عليه أن يقسم بالله العظيم، ولا يخفي ما في اليمين من تحميل للمسؤولية وما فيه من ترهيب شديد هو معنوي ولكنه فعال وشديد التأثير على الأنفس التي فيها إيمان بالله وتلك هي حال أغلبية المؤمنين.

ولا شك أن اليمين رادع لصاحبه مانع له من الكذب والبهتان والتجرؤ على الله ويكون مصحوبا بما ينبغي من التذكير والترهيب إذ اليمين ممن لا يؤمن بالله ولا يخافه لا تكون له نتيجة تذكر في الاقتراب من الحقيقة والوصول إليها.

إن اليمين الغموص والقسم بالله بالباطل من اكبر الكبائر لا يقدم عليه إلا من ختم الله على قلبه وأعمى بصيرته والعياذ بالله.

إن هذه القاعدة «**البينة على من ادعى اليمين على من أنكر**» لا يمكن أن تؤتي ثمرتها المرجوة إلا إذا كان جميع الأطراف القاضي والمدعي والمدعى عليه وكل من حولهم تغلب عليهم جميعا خشية الله والرغبة فيما عنده الذي هو خير وأبقى وما عند الله خير للمتقين الأبرار.

إن تشريعات الإسلام وأحكامه السمحة ليس لها من غاية إلا إسعاد المسلم السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة إن هدفها هو الارتفاع بالمؤمنين إلى أعلى مراتب السمو والرفعة والتجرد وما تستوجبها من نفي للأنانية والظلم والعدوان بحيث يعيش الجميع في كنف الأخوة والوئام والطمأنينة يحب كل واحد من **المؤمنين لأخيه ما يحبه لنفسه** ويكره لأخيه ما يكرهه لنفسه يتعاونون على البر والتقوى ولا يتعاونون على الإثم والعدوان.

ووفق هذه الرؤية الرفيعة السامية ينبغي النظر إلى كل ما سنه المولى جل وعلا من أحكام وتشريعات وما أمر به من ضوابط واحتياطات فالعقوبة ليست غاية في الإسلام الغاية هي الإحراز على مرضاة الله ومرضاة الله يمكن أن تتحقق دون اللجوء إلى العقوبة وذلك بأن يقف كل واحد من المؤمنين عند حدوده لا يتجاوزها ولا يسمح لنفسه بأن يعتدي على غيره مثلما انه لا يرضي أن يقع الاعتداء عليه لا في ماله ولا في عرضه ولا في دمه، فإذا ما توصل المؤمنون فردا فردا إلى التوافق على هذه القاعدة فبخ على بخ وكفى الله المؤمنين شرّ القتال وإذا حدثت البعض منهم أنفسهم بأن يتجاوزوا حدودهم ويدعوا ما ليس لهم فينبغي الوقوف لهم بالمرصاد وبكل الطرق المشروعة التي منها هذه القواعد والضوابط التي دعا إليها الإسلام وارشد إليها سيد الأنام عليه الصلاة والسلام وتتقبلها بكل طمأنينة الأنفس الطيبة والعقول السليمة لان الحكمة فيها واضحة والمصلحة فيها جلية في العاجل والآجل للنفس والجسد وللفرد والجماعة فصلى الله على سيدنا محمد الذي لم يترك أمرا فيه خير وفيه تحقيق لمرضاة الله عز وجل إلا ودعا أمته إليه وبينت الأيام والتجارب حكمته وصوابه وروعته وصلاحيته لكل زمان ولكل مكان

ورحم الله الإمام النووي صاحب الأربعين النووية الذي جعل هذا الحديث «**لو يعطى الناس بدعواهم**..» احد الأحاديث الأربعين المباركة الجامعة الشاملة والتي تقبلتها الأمة بالقبول الحسن فحفظتها عن ظهر قلب وعكف عليها العلماء قديما وحديثا بالشرح والتبيين ولا تزال دور النشر تخرج للناس الشرح تلو الآخر ندعو الله أن يناله مما أعده الله من عظيم الأجر وجزيل الثواب لمن حفظ سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبلغها وبينها وارشد الأمة إلى العمل بمقتضاها والاسترشاد بها انه سبحانه وتعالى سميع مجيب قريب آمين يا رب العالمين.

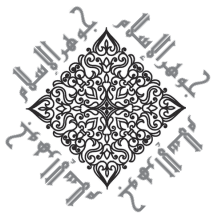

في العلاقة الجدلية بين الفتوى والاجتهاد والقضاء

بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي - جدة

لئن أدركنا تلك الأهميّة الكبرى، والمكانة العظمى التي تناط بصناعة الفتوى في العصر الراهن، ولئن تجلت لنا تلك الآثار الوخيمة الناجمة عن اعتداء أولئك القاصرين على حمى هذه الصناعة، ولئن تبدى لنا قبلُ كون الفتوى فنًّا وصناعةً ذات طبيعةٍ خاصّةٍ تتوقف ممارستها على توافر المرء على جملة من الأدوات والآداب والضوابط، فإن ثمة حاجة علميّة إلى تحرير القول في تلك العلاقة الجدليّة الثاوية بين مصطلح الفتوى ومصطلح الاجتهاد ومصطلح القضاء، وذلك انطلاقا من كون كلّ واحدٍ منها فنًّا هامًّا يتوقف التصدّي له على ضرورة تمكن المرء من أدوات وضوابط، فضلا عن وجود ذلك الترابط الوثيق والتداخل الجليّ بين شروطها، ولذلك، فهلمّ بنا لنقف على طبيعة الرابطة المنطقيّة بين هذه المصطلحات، وذلك كالتالي:

الفقرة الأولى: بين الفتوى والاجتهاد

لقد أوضحنا قبلُ بأنّ الفتوى عبارة عن تبيين الحكم الشرعيّ عن دليل لمن سأل عنه في نازلة، وبيّنا - أيضًا - بانّ صناعة الفتوى ملكةٌ راسخةٌ وعلمٌ منهجيٌّ وموضوعيٌّ وواقعيٌّ يقتدر به على إخبار السائل عن حكم الشرع يدليله في نازلة من النوازل إخبارًا يمكّنه من تمثل ذلك الحكم والصدور عنه صدورًا حسنًا في ضوء الواقع الذي يعيش فيه

إذا كان هذا تصورًا عن الفتوى وصناعة الفتوى، فإن عامّة أهل العلم بالأصول يعرّفون الاجتهاد بأنّه عبارة عن بذل الوسع واستفراغ الطاقة من أجل تحصيل ظنّ بحكم شرعيّ، وبعبارة أخرى، يراد به بذل الوسع واستفراغ الطاقة من أجل معرفة حكم اللّٰه في نازلة أو من أجل تنزيل حكم اللّٰه في الواقع المعيش[1] .

بإمعان النظر في هذا التعريف للاجتهاد، وقبله تعريف الفتوى، يجد المرء أنّ ثمة علاقةً وثيقةً بينهما، بل يجد المرء تداخلًا بينهما، إذ انّ كل واحد يهدف إلى معرفة حكم الله، وتنزيل ذلك الحكم على واقع الأفراد والمجتمعات. ونتيجة لهذا التداخل الواضح والترابط الجليّ بينهما لم يكن من عجب في أن يختلف أهل العلم قديمًا وحديثًا حول طبيعة تلك العلاقة التي تربط بينهما، إذ ذهب عدد منهم إلى تصوير تلك العلاقة بأنّها علاقة عام بخاصَ، وفي ذلك يقرِّر فضيلة الدكتور وهبة الزحيلي رَحَمَةُ اللّٰه ما نصُّه:

«.. والفارق بين الاجتهاد والإفتاء هو أنّ الإفتاء أخصّ من الاجتهاد، فإنّ الاجتهاد استنباط الأحكام سواء أكان سؤال في موضوعها أم لم يكن. وأما الإفتاء، فإنّه لا يكون إلا إذا كانت واقعة وقعت، ويتعرف الفقيه حكمها ..»[2].

وبناءً على هذا التصور، فإنّ الاجتهاد أعمّ من الإفتاء ومقتضى هذا الرأي أنّ كلّ مجتهد مفتٍ، وليس كلّ مفتٍ مجتهدًا!

وأما واضعو الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة، فإنّهم يرون خلاف الرأي السابق، إذ انهم يعتبرون الإفتاء أعمّ من الاجتهاد، وذلك لأنّ الإفتاء يكون في القطعيّ والظنيّ معًا، وأما الاجتهاد، فإنّه لا يكون إلا في الظنيّ، وهذا نصّ ما قرّروه بهذا الصدد:

(«.. والفرق بينه (الاجتهاد) وبين الإفتاء: أنّ الإفتاء يكون فيما علم قطعًا أو ظنًّا. أما الاجتهاد، فلا يكون في القطعي، وأنّ الاجتهاد يتمّ بمجرد تحصيل الفقيه الحكم في نفسه، ولا يتمّ الإفتاء إلا بتبليغ الحكم للسائل. والذين قالوا: إنّ المفتي هو المجتهد، أرادوا بيان أنّ غير المجتهد لا يكون مفيتا حقيقةً، وأنّ المفتي لا يكون إلا مجتهدًا، ولم يريدوا التسوية بين الاجتهاد والإفتاء في المفهوم[3].

(1) أنظر كتابنا: معجم مصطلحات أصول الفقه، قطب مصطفى سانو، (دمشق، دار الفكر، إعادة ثالثة، 2006م)، ص 27 وما بعدها.

(2) انظر أصول الفقه الإسلامي: وهبة الزحيلي، (دمشق، دار الفكر، طبعة ثانية 2004) ج ص 1184 بتصرف

(3) أنظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، مرجع سابق، 6 ج32 ص–21 –3

وبالنظر في هذين الرأيين المتعارضين، فإنّنا نجد أنّ كل واحد منهما نظر إلى هذين المصطلحين من زاوية معيّنة، وحصر الفرق بينهما من تلك الزاوية فالرأي الأول اعتدّ بجانب توقف الإفتاء على وقوع واقعة، ووجود سؤال عنها، ورأى أنّ الإفتاء لا يكون إلا إذا وقعت واقعة، وأنّ الاجتهاد يكون سواء أوقعت واقعة أم لم تقع واقعة، كما أن الاجتهاد لا يتوقف وجوده على وجود سؤال أو عدمه، وأما الإفتاء، فإنه لا يكون إلا إذا كان ثمة سؤال .

وأما الرأي الثاني. فقد إعتدّ أصحابه بالمجال الذي يغشاه كلّ واحدٍ من المصطلحين، فقرّروا بأنْ الإفتاء أعم، لأنه كما يكون في الظني من الأحكام، فإنه يكون كذلك في القطعي من الأحكام، وليس كذلك الاجتهاد، فإنه أخص، إذ انّه لا يكون إلا في الظني من الأحكام، ولذلك، فإنّ الإفتاء أعمّ من الاجتهاد.

إننا نرى أنّ الأساس الذي استند إليه كلا الرأيين للتفريق بينهما لا يخلو من نظر، بل لا يصلح لأن يكون أساسا للتفريق، ذلك لأنه لا يعد أي من ذينكما الأساسين ركنا في ماهيّة المصطلحين، فالقول بتوقف الإفتاء على وقوع واقعة محل نقد إذ ان الإفتاء كما يكون عند وقوع واقعة، فإله يمكن أن يكون قبل وقوع واقعة، وما أكثر الفتاوى على وقائع لم تقع بعد. وربما لن تقع في المستقبل:

ولذلك، فلا نرى سدادًا في الاعتداد بوقوع الواقعة أساسًا للتفريق بين الفتوى والاجتهاد، كما لا نرى وجاهة في توقف الفتوى على وجود سؤال في موضوعها، بل لئن كان ذلك هو الأصل في الفتوى، غير أنه من الوارد جدّا أن تكون هنالك فتوى دون وجود سائلٍ حقيقةً: ذلك لأنّ الفتوى في أبسط معانيها إخبارٌ وإبانةً وتبيينٌ للحكم الشرعيّ سواء أكان هنالك سؤال أم لم يكن هنالك سؤال، سواء أو قعت واقعة أم لم تقع.

وبناء على هذا، فإن التفريق بين المصطلحين استنادًا إلى الأساس المذكور تعوزه الدقّة والموضوعيّة، مما يدعونا إلى ضرورة البحث عن أسس أخرى للتفريق بينهما.

وأما بالنسبة للأساس الذي استند إليه واضعو الموسوعة الفقهيّة للتفريق بين الفتوى والاجتهاد، فإنّه هو الآخر محلّ نظرٍ؛ ذلك لأنّ حصر دائرة الاجتهاد في الظنيّ من الأحكام لا يخلو من نقدٍ، بل إنّ ذلك لا يعدو أن يكون تعبيرًا عن تلك التعريفات التقليديّة التي تقتصر الاجتهاد في الفهم، ولا تلتفت إلى الاجتهاد في التطبيق، وبتعبير آخر، ما دام ثمة اجتهاد في النظر يروم استنباط الأحكام من الأدلة ويسمّى الاجتهاد

النظريّ، فإنّه يجب أن يكون هنالك اجتهاد في التطبيق يروم تطبيق تلك الأحكام على الواقعات، ويسمّى الاجتهاد التنزيليّ أو الاجتهاد التطبيقيّ.

وبناءً على هذا، فإنّه ليس من سديد الرأي الاستناد إلى الأساس المذكور للتفريق بينهما؛ ذلك لأنّ الاجتهاد هو الآخر يكون فيما علم قطعًا إذا كان الاجتهاد اجتهادًا تطبيقيًا، ويكون أيضًا فيما علم ظنًّا إذا كان الاجتهاد اجتهادًا نظريًا، وبتعبير آخر لا تأثير لبُعد القطع والظنّ في التفريق بين الاجتهاد والفتوى؛ لأنّ كل واحدٍ منهما يصلح أن يكون في القطعيّ والظنيّ معًا.

وتأسيسًا على هذا، فإنّنا نخلص إلى تقرير القول بأنّ التفريق بينهما ينبغي أن يستند إلى ماهيّة كلّ واحدٍ منهما من حيث كون كلّ واحدٍ عملًا فكريًّا هادفًا إلى معرفة حكم الشرع في النوازل وبيانه للناس سواء أسألوا عنه أم لم يسألوا، كما ينبغي أن يستند التفريق إلى طبيعة تلك الأدوات التي يجب توافرها فيمن يرغب في التصدّي لأيّ منهما، وذلك اعتبارًا بأنّ تلك الأدوات تمثّل ضبطًا لماهيّة كلّ واحدٍ منهما، كما تمثّل تحديدًا لمن له الحقّ في ممارسة أيّ من هذين الفنّين الهامّين.

وانطلاقًا من هذا، فإنّ النظر المتأمل في طبيعة كل واحدٍ منهما، والأدوات الواجبة التوافر في كلّ واحدٍ منهما، يفضينا ذلك النظر إلى تقرير القول بأنّ الفتوى أعمُّ من الاجتهاد من حيثُ الماهيّة، فكلّ فتوىً اجتهادٌ، وليس كلّ اجتهاد فتوىّ، وذلك اعتبارًا بأن الفتوى استنباطٌ وكشفٌ عن الحكم، ثم إعلام وإخبارٌ عن ذلك الحكم، خلافًا للاجتهاد، فإنّه استنباطٌ للحكم، ولا يجب بالضرورة الإعلام والإخبار عن ذلك الحكم، وخاصّة إذا لم يكن هنالك سؤالٌ أو حاجة.

وبالنظر إلى الشروط الواجب توافرها فيمن يرغب في التصدِّي للاجتهاد والإفتاء، نجد أنَّ الفتوى أعمُّ من الاجتهاد من حيث الأدوات الواجبة التوافر فيمن يتصدى لكلٍّ منهما، مما يعني أنَّ كلّ مفتٍ مجتهدٌ (= يجب أن يكون مجتهدًا)، وليس كلّ مجتهدٍ مفتيًا؛ ذلك لأنّ الفتوى منصبٌ زائدٌ ورتبةٌ زائدةٌ على رتبة الاجتهاد، فكأنّ المرء يبدأ مجتهدًا بإشرافه على أدوات الاجتهاد التي تعدُّ أيضًا أدوات الإفتاء، ثم يغدو بعدُ مفتيًا بسبب استيعابه أدوات إضافيّة منضافة إلى أدوات الاجتهاد، وتتمثَّل تلك الأدوات الإضافيَّة في معرفة الواقع، ومعرفة الناس، ومعرفة العادات والتقاليد والأعراف الخ.. وتقريرًا لهذه العلاقة يذهب بعض الأصوليّين إلى اعتبار الاجتهاد شرطًا من شرائط الإفتاء، وفي هذا يقول الإمام ابن السمعاني: «.. المفتي من استكمل فيه ثلاث شرائط: الاجتهاد، والعدالة، والكفّ عن الترخيص والتساهل»[1].

(1) انظر: البحر المحيط، مرجع سابق، ج6 ص ٣٠٥ باختصار.

وبناء على هذا، فإنّ ثمة اتفاقًا بين المحقّقين من الأصوليين على كون أدوات الاجتهاد جزءًا لا يتجزأ من أدوات الإفتاء، فمن لم يتمكن من أدوات الاجتهاد، فإنّه لا ينبغي له أن يتصدّى للفتوى، بل إنّه يحرم عليه ممارسة الإفتاء شرعًا وعقلًا، وإذا أفتىٰ قبل إشرافه على أدواته عدت فتواه افتئاتًا على الله تعالى، وقولًا بغير علم، وقد ورد النهي الصريح عن ذلك في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [الاعراف: 33]، وقوله: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ**﴾ [النحل: 116]، كما أكّد هذا النهي عدد من أحاديث المصطفى، وعلى رأسها ذلك الحديث الذي أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رَضِي اللَّه عنه أنّ النبيّ قال: «**من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه**».

وتأسيسًا على هذا، فإنّ لنا أن نخلص إلى القول بأنّ الاجتهاد يعدّ في حقيقته مقدّمة ضروريّة للفتوى، مما يعني أنَّه لا يجوز لإمرئ غير حائز على أدوات الاجتهاد التصدّي لصناعة الفتوى، ويجد المرء حضورًا لهذا الأمر من خلال ما دأبت عليه المدوّنات الأصوليّة من الاكتفاء بذكر شروط الاجتهاد عند بيان شروط الإفتاء مقرّرين بأن ذات الشروط الواجبة التوافر في الاجتهاد يجب توافرها فيمن يتصدّى للإفتاء من باب أولى، وتنضاف إليها شروط وآداب وخصال أخرى. ورحم الله الإمام أحمد بن حمدان الحراني الذي نقل هذا الرأي عن القاضي أبي يعلى بن الفراء بشكل صريح وواضح، إذ قال ما نصُّه:

قال القاضي الإمام أبو يعلى بن الفراء الحنبلي رَحمَهُ اللَّهُ: من لم يكن من أهل الاجتهاد لم يَجُزْ له أن يفتي، ولا يقضي. ولا خلاف في اعتبار الاجتهاد فيهما عندنا ولو في بعض مذهب إمامه فقط، أو غيره، وكذا مذهب مالك والشافعي، وخلق كثير.»

وإذ الأمر كذلك، وهو كذلك، فإننا نختم هذا البيان بتقرير القول بأنّ الاجتهاد والفتوى لا يتقابلان، وإنما يتكاملان، وأنّ بينهما -كما أسلفنا عمومًا وخصوصًا، فالفتوى أعمّ من الاجتهاد، والاجتهاد أخصّ من الإفتاء، كما أنّ الاجتهاد يعد في محصّلته النهائيّة مقدّمة ضروريّة للفتوى، الأمر الذي يعني توقف القيام بمهمة التوقيع عن ربّ العالمين على تمكن الموقع من أدوات الاجتهاد قبلا.

وبهذا تتبين لنا العلاقة المنطقية بين الفتوى والاجتهاد، وهي علاقة عامّ بخاصّ.

حديث الذكريات عن أستاذي أنس القرقوري

(توفي 21 جوان 2025م)رحمه الله وطيب ثراه

بقلم الباحث والكاتب الأستاذ صالح العود

رجعتُ كعادتي من مقرّ إقامتي ببلاد المَهْجر التي اختارها الله لي في الأزل، منذ سنة (1976م)، للراحة والاصطياف في مسقط رأسي، وهي مدينة صفاقس : (لؤلؤة الجنوب التونسي كما تنعت)، وبعد يومين من وصولي إليها، اتصلتُ بأستاذي الحبيب والشيخ الأديب، لأسلّم عليه، كذي قبل في كلّ مرّة أعود، ومثل ذلك عند المغادرة؛ لكنّ هذه المرّة لم يُكلّمني فيها الأستاذ، وإنّما زوجه الفاضلة، قائلة لي بكلّ لطف وتقدير: إنّه منهك، ولعلّ ذلك في مرّة أخرى إن شاء الله... ودّعتُها وقلتُ لها : بلِّغِي سلامي إليه راجيا دعواته والاطمئنان عليه. قالت : إن شاء الله.

وبعد يومين فقط، حصل ما أكرهُه فيه، لأنّه كان دائما يُشعرني عند حديثه الشيّق معي : «أنه تجاوز التسعين من العمر؛ المثقل بالأعمال والأعباء، وجسيم المسؤوليات، التي تحمّلها وأنيطت به». ففي ضُحى يوم السبت : (25 ذي الحجة لهذا العام 1446هـ) الموافق لـ(21 جوان 2025م)هتفتُ لأحد الناشرين الأفاضل لبعض مؤلفاتي : الأستاذ الكريم السيّد لطفي كمّون حفظه الله ورعاه، لأطرق معه موضوع نشر كتاب جديد عنوانه : (إسداءُ الصواب بغير عِتاب لأصحاب الأقلام وذوِي الأفهام من الكتّاب)؛ وإذ به يبادرني في أوّل الكلام وبعد ردّ السلام : هل بلغك وفاة الأستاذ أنس القرقوري رحمه الله.. فكان هذا الخبر المفاجئُ منه كالصّاعقة،

التي صكّت مسامعي، وأذهلتْ فكري وحواسِّي، وقلتُ مُسترجعا بلسان الحال قبل كتابة هذا المقال[1] : إنّا لله وإنا إليه راجعون. وله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمّى.

كان أستاذي هذا رحمه الله دوما وطيّب ثراه جمّا، أحبّ أساتذتي من التونسيين إليّ، وأقْرَبهم منّي، وأفيدهم لي، وأنا الذي تعلّمتُ في مرحلة التعليم : (البدائي، والابتدائي، والثانوي، والجامعي) على ما يقارب (الخمسين) ما بين : مؤدّب، ومعلّم، وأستاذ، وشيخ؛ لكنّ أستاذي هذا -آخرُهم وفاةً- له طعم خاص، وميزة أخرى، وحصافة وفصاحة لم أعْهَدْها في غيره الذين تعلمتُ عليهم في الصغر ولا في الكبر؛ ومما شدّني إليه أكثر، وزادني به تعلقي الأكبر، حين صرتُ أتردّد عليه في أواخِر عمره، وتقدّمي أنا في السنّ، بعد أن سقط حاجز التلمذة والأستذة، ودخلنا أنا وهو في رحاب الصداقة المشوقة والمشتاقة في كل لقاء يجمعنا ويمتد بنا إلى ساعتين أوثلاث.

وأستطيع أن أقول بصراحة : إنها تلمذة جديدة غير الأولى، لأني صرتُ أستفيد منه أكثر فأكثر غير تلك الاستفادة على مقاعد الدراسة.

بل إنّ صحبتي لأستاذي في كِبَرِ سنّي وتقدم سنّة تمتد إلى أكثر من (عشر) سنوات دون انقطاع، كنتُ أزورُه في بيته : مرة ومرتين وثلاثا وأربعا، بمعنى: كلما أتيحَتْ لي فرصة النزول إلى مسقط رأسِي، أشعره بوصولي، فأسلم عليه وأسأل عن حاله، ثم أستأذنه في موعد يحدّده للزيارة دون تَلَكُّؤٍ ولا تسويف منه، بل كان دوما مرحبا بي.. فكانت الزيارة من أجلّ النّعم عندي وعنده، بل كان يصرّح لي كلما أردت المغادرة في كلّ مرة: «اجلس معي... مازال الوقت... أنا لا يزورني أحد... أنا مستوحش... أنت أنسي... أنا أحبك... أنت عالم من أين أخذت علمك...»وهكذا.

فكنتُ أخذ بخاطره، وأسلّيه، وأقرأ له من كتبي بقصد التصحيح، وفي الأثناء كنتُ أسأله عما يُشكِل عليّ، أو ما لم أهتد إليه من صواب، فكان رحمه الله يرشدني، إذ كان نِعْم الناصح الأمين، الذي افتقدتُه الآن، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.. جل جلاله.. لا رب سواه.

(1) وقبل هذا نعيتُه إلى أحبابي والأصدقاء من العلماء عبر الواتساب، ثم كتبتُ ذلك إلى مجلة البعث «الإسلامي» الصادرة في الهند (شهرية) بناء على طلب مديرها.

«كُنَيْفٌ مُلِئَ عِلْمًا» هو أثر ورد عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم، في حقّ سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله، وهو في ظني كأنّي وجدتُه ينطبق على أستاذي من حيث الشكل، وفيه شيء، معتبر من المضمون : وهو «العلم» الشريف.

ووجدتُ أستاذي الراحل كما عرفتُه ودرستُ عليه في منتصف السّتينات: 1966 – 1968م نحيف البدن، قصير القامة، حادّ الذّهن، غزير الفكر، طاهر الوجدان، جيّد الممارسَة في وظيفة التعليم، صارما في الحق: لا يلين، ولا يداهن، ولا يجامِل، ولا ينافق.

حسبُه سلوكه الذي درج عليه منذ نعومة أظفارِه، ونمّاه حين أخذه العلم عن شيوخ الزيتونة الأبرار، وغيرهم من الرجال الأحرار الأخيار؛ فصفا معدنه، ورشحتْ أخلاقه –كما عرفتُها– على سنّة الله ورسوله، وصفوة الصّالحين من عباده، الذين لا تجد فيهم عوجا ولا أمتا.

حينما كنتُ أستذكر مع أستاذي في كل زيارة آتيهِ فيها، كان يفيضُ عليّ من علمه الوافر، وأفكاره الجليلة، وكلماته الجميلة : من القصص، والأمثال، والشعر، وشواهد من القرآن، والأحاديث النبوية، والحكم الميمونة : القديمة منها والحديثة، ما لا يخطر على بال السامع أو المتحدّث إليه؛ كل ذلك سبحان الله في تسلسل وسلاسه، دون أن يمل فيتوقّف، أو ينسَى ما يريد الإفصاح عنه أو طرحَه عليك بعفويته المعهودة، ورسوخِه العلمي والثقافي والشرعي المألوف.. ودعني أقول فيه دون مبالغة قولة القائل : «بحر لا تنزحه الدّلاء».

عشتُ سنواتٍ وأنا أزورُه : زيارة الحبيب الوَلِه لحبيبه، كلما غاب أو ابتعد حنّ واشتقاق لرؤياه، والجلوس إليه، والإصغاء إلى معناه ومغناه.

كان إذا توقف عن الحديث إليّ بُرهة من الوقت، فإمّا أن أتحدّث إليه، وإمّا أن أُجيب عن سؤال طرحه عليّ، فكان رحمه الله نعم المصغي، ونعم المتابع لما أقول وأتحدث به إليه، معجبا، أومعلقا، أومستدركا، أوسائلا.. لكن بكل حب وتقدير جدير بي.. ولا معنى ذلك عندي سِوَى التواضع الجمّ، والحبّ لمكارم الأخلاق، والإجلال لأقدار الرجال الذين تسلقوا الجبال، وقدّموا جلائل الأعمال.

كنتُ أُسْعِدُه بالحديث الجريء عن أعمالي الناجحَة، التي اضطلعتُ بها في مقرّ إقامتي ببلاد المهجر التي طالتْ إلى (خمسين) عاما، فكان يسلوبها، ويفرح لها،

ويطمئن إليها، ثم يدعولي ويقول : «ياسَعْدِك ياسِي صالح... هنيئا بما قدمت»، ثم تدمع عيناه اللتان لا يُبصر بهما، إذ فقد الرؤية في منتصف العمر.

وكان يتخلّل مجالسنا على طولها في الوقت: إكرام ما بعده إكرام: (الشاي) الأحمر على الطريقة المصرية، لأن أستاذي ألِفه منذ سافر إلى القاهرة عام1954م للدراسة بدار العلوم (جامعة فؤاد الأوّل سابقا)؛ ثم يأتي دور (القهوة) العربية على العادة التركية منذ عهد الدولة العثمانية المحتلة لتونس؛ وما بينهما: صحن فاخر من المرطبات والحلويات الصفاقسية التي يسيل لها لعاب الصغار والكبار.

وهكذا كنا نستمتع بالحديث الشيّق، ونتفكّه بما لذّ وطاب معا.

وحين يُوشِك مجلسنا العامر بفواكه العلم مع البطن، على الختام، يتهيأ الأستاذ فيقف راجلا ومنتصبا، لا ليتركني بعد الاستئذان، وإنّما ليودّعني حتى نهاية باب المنزل –على بعد أمتار– حاملا عكازه، وأنا أترجاه أن لا يفعل ولا يُثقل بذلك على نفسه، فيأبى، ثم يرافقني إلى النهاية بالسلام، فيرد عليّ السلام، ثم أُقبّل يده، فيقبل يدي، ثم أقبل جبينه، فيأبى إلا أن يُقبّل أيضا جبيني، ثم أخرج إلى الشارع العام: حزينا.. كئيبا.. متلهفا على فراقه.. مؤمّلا الرجوع إليه قريبا.. لكنّه قد مات الآن، فلم أعد أراه، ولا أزوره، ولا أجلس إليه.. فحسبي الله ونعم الوكيل، وإِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ.

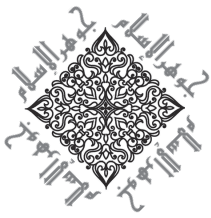

حقيقة سنة الرسول ﷺ

المفكر الإسلامي: وحيد الدين خان

(الهند)

إن أهمية السنة في الدين بالغة جداً، فكل ما قاله النبي أو عمل به هو معيار للمسلمين ومقياس لعملهم، إذ يلزم علينا- نحن المسلمون- أن نطبق سنته -صلى الله عليه وسلم- في كافة ميادين الحياة، وأن نقلده في الأمور كلها، ففي اتباع سنته يكمن سر النجاة في الدنيا والآخرة. وفي أوساط المسلمين وفاق حول تلك الأمور، فليس هناك من يخالف في حجية السنة في التشريع الديني.

غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي حقيقة هذه السنة؟ هناك مفاهيم خطأ .

فالسنة- في حد ذاتها- هي كل ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل، ولكن -في الواقع- قد صاغ المسلمون بأنفسهم فهرساً للسنة يتضمن بعض الأشياء الثانوية نسبياً في حياة النبي ﷺ فمن يهتم بذلك الفهرس يطلق عليه بأنه متبع للسنة، بينما الشقة بعيدة بينه وبين أتباع السنة الحقيقة الأصلية، ولنضرب لذلك مثلاً يكشف القضية بوضوح: روي عن أم سلمة أن النبي -صلى الله عليه وسلم-كان في بيتها فدعا وصيفة له أو لها فأبطأت فاستبان الغضب في وجهه فقامت أم سلمة إلى الحجاب فوجدت الوصيفة تلعب، ومعها سواك فقال: لولا خشية القود يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك. (البخاري-الأدب المفرد، باب قصاص العبد).

إن هذا الاهتمام المبالغ فيه بالسواك، اهتمام لا يوجه إليه أي نقد أو اعتراض. فالسواك سنة حق، حتى أن النبي -صلى الله عليه وسلم-بيّن أنه: (**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك.**)، (أخرجه مالك، وأحمد، والنسائي).

ومن ثم فمن أهتم بالسنة فقد اتبع السنة حقاً، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل الحديث المذكور آنفاً يحتوي على أمر السواك فقط؟ الحقيقة أنه يتضمن سنة أخرى لا تقل أهمية عن السواك، بل هي أكثر أهمية من السواك، والمؤسف أن الناس تمسكوا بالسواك ونحَّوْا الأخرى جنباً. شأن المسلمين في ذلك شأن ذلك الرجل الذي حصل على فاكهة، فأخذ قشرتها ورمى بلبها.

لنقف قليلاً، ونتأمل هذا الحديث. إنه يحتوي على أمرين:

- **أولهما**: ان النبي ﷺ كان جالساً في بيته وكان بيده سواك.
- **وثانيهما**:انه استبان الغضب في وجهه –صلى الله عليه وسلم– وكان على وشك أن يضربها بالسواك لولا أنه تذكر فوراً قبضة الله في الآخرة، ومن ثم أعرض عن إلحاق الأذى بها.

فاستعمال السواك لتنظيف الأسنان سنة، وكذلك تغليب خوف الله إلى حد أنه رغم حدة الغضب عنده وبالرغم من مقدرته على تحقيق ما يريد، فهو يعزف عن إلحاق الأذى بالآخرين، ويتجنب الضرب ولو بأبسط الأشياء كالسواك، فتلك سنة أيضاً. ولكن المؤسف أن المسلمين يجهلون هذا الجانب البارز من الحديث ويتمسكون بالسواك فحسب.

*** وهناك مئات الآلاف في أوساط المسلمين ممن يتبعون سنة السواك، أما سنة كظم الغيظ وكبح جماح الغضب، والصبر على الأحوال غير المرضية، والإعراض عن الأنشطة القمعية مع القدرة عليها، قد أصبح شيئاً نادراً، لا نجده إلا في قلة من الناس.**

إن القرآن الكريم –من خلال آياته العديدة– يحث ويحض الناس على اتباع سنة الرسول إلا أن الأمور التي تحظى باهتمام بالغ من قبل المسلمين باسم السنة، لا يحمل القرآن أدنى إشارة إليها، بينما الأنواع الأخرى من السنة والتي وردت في القرآن بغزارة قد أخرجها المسلمون من قائمة أتباع السنة، وهذا مثال على ذلك.

إن جانباً من سورة الأحزاب يلقي ضوءاً على غزوة الأحزاب التي حدثت سنة (5 هـ)، وقد استنفر مشركو مكة ما يقرب من أثني عشر ألف مقاتل تحركوا صوب المدينة قاصدين الهجوم عليها، ورغم أنه لم تنشب الحرب بين الطرفين إلا أن الحصار المشدد حول المدينة ظلّ قرابة شهر. وقد ورد القرآن: ﴿**إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾.(سورة الأحزاب، الآيتان:10–11).

في مثل تلك اللحظة الحرجة بدا الضعف بين كثير من ضعفاء الإيمان، إذ لم يستطيعوا البرهنة على الصبر والاستقامة، وتتناول السورة شأن هؤلاء الأفراد أيضاً، وورد فيما يتعلق بهذا الشأن: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**﴾،(سورة الممتحنة، من الآية:6).

ان الآية توضح أن الحالات المتوترة التي لحقت بالمسلمين أثناء الحصار الذي فرضه الأحزاب، والشدائد التي كانت تشكل خطراً على المسلمين لم يكن النبي بمعزل عنها بل كان في وسطها مشاركاً فيها، بل كان الوضع بالنسبة للنبي أكثر خطورة، فهو الهدف والغاية الأصلية لذلك الحصار إلا أن النبي كان صابراً مثابراً متصدياً لكل ما يعترضه بكل ثبات ورباطة جأش، لقد صبر على كل رخيص وغال نازلاً تحت إرادة الله ابتغاء مرضاته. **إن هذا العمل الجبار الذي يقدمه النبي –صلى الله عليه وسلم– ينبغي أن يتبناه المسلمون في حياتهم، كما يلزم عليهم أن ينهجوا نفس النهج.**

إنّ السنة التي تضمنتها الآية هي سنة الصبر والمثابرة، أي تحمل كافة أشكال المعاناة في سبيل الدين والصمود أمام كل الصعوبات ببذل أقصى ما يملك المرء من جهد.

الا أن الوضع اليوم قد انقلب رأساً على عقب، فإنك لو أخذت تذكر سنة الصبر والمثابرة، لرأيت الوجوه مندهشة مبدية إعجابها، **كأنها لا تكاد تصدق أن ذلك من السنة، ولعل ذلك يرجع إلى الدعاية الخاطئة التي جعلت السنة قاصرة على أمور محددة كاللحية والسواك وشرب الماء باليد اليمني، والدخول إلى المسجد بالرجل اليمني، وتقديم اليسرى عند الخروج منه، إلى غير ذلك... ومثل هذه الأمور قد اشتهرت في أوساط المسلمين باسم السنة، وهم يتمسكون بها ويولونها اهتماماً بالغاً، بينما الأمور الأخرى لا تتمتع بأية أهمية لديهم. بل إنهم قد أخرجوها من خارطة أذهانهم، ومن ثم هم لا يحسون بضرورة وضعها في فهرس اتباع السنة.**

انك تجد كثيرا من الناس ممن يهتمون بأمر اتباع السنة ويولونها اهتماماً، ولكنك تجد الأشياء التي يجدر أن تحظى بالأهمية الرئيسية والتي تمثل محور وجوهر الدين، قد فهمها المسلمون على أنها خارج قائمة السنة– سواء أكان ذلك بطريق شعوري أو غير شعوري– مما أسفر عن عدم ظهور فائدة اتباع السنة رغم الاهتمام البالغ بها.

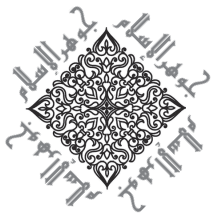

محورية الأصالة والحداثة [1] في فكر الشيخ الحبيب المستاوي رمز الوسطية والاعتدال

بقلم الدكتور هشام بن صالح

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

أيها الحضور الكريم ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بعد تكليفي من طرف الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي سليل دوحة العلم المتصلة بشيخه الوالد الحبيب المستاوي رحمه الله للمشاركة في أشغال هذه الندوة العلمية المباركة،إحياء لمأويّة الفقيد العزيز وذلك بمداخلة تتناول جزءا من أفكاره التي بثّها في صدور الرجال طيلة حياته المليئة بالدعوة والإصلاح، من خلال دروسه الدينية القيّمة الموجّهة إلى طلبته، وكذلك حضوره الإعلامي المتميز في الإذاعة الوطنية، وخطبه الجمعيّة بجامع مقرين، ودروسه في جوامع البلاد ومشاركته في المؤتمرات والمناسبات الدينية خارج الوطن.

واليوم ينالني شرف أثيل لأن أكون مسهما ولو بنزر يسير في تأثيث هده الندوة المباركة، حيث جعل لي أستاذنا الفاضل صلاح الدين المستاوي الخيار في اختيار

(1) نص مداخلة ألقيت في المائوية التي أقيمت يوم السبت 3 ماي 2025 بمدنين / تطاوين.

الموضوع الذي أروم الحديث فيه حول شخصيّة الداعية والمربّي والمصلح والشاعر الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله .

و قد أثار انتباهي من خلال افتتاحيات مجلة «جوهر الإسلام « أن شيخنا كان يتناول جميع المواضيع التي تشغل بال المسلمين موضّحا في ذلك السبيل إلى علاج الظواهر المرضية بوصفة دينية سمحة، إيمانا منه بأن معين الإسلام لا ينضب، وأن القرآن الكريم فيض لا آخر له، والسنة النبوية المطهرة نور يستضاء به في العتمة.

و من المواضيع اللافتة التي حظيت بعناية شيخنا الفاضل رحمه الله تناوله لمسألتي « **الأصالة والحداثة**» التي أعارها اهتماما كبيرا وشغلت فكره في محاولة منه للتوليف بين الأصل ومقتضيات العصر في إطار من التراشح المتين بين المعطيين، ذلك أن الأصل يستند في الأساس إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أما مقتضيات العصر فتتجلى في التطور المطّرد الذي يشهده العالم وما ينتج عنه من تغيير في المفاهيم والرؤى.

و لقد تصدى الشيخ لهده المعادلة معتمدا المنهج الديني المتفتّح الذي يربط المعطيين، داحضا بذلك الأفكار البالية التي ترى في الإسلام دين التحجّر والانغلاق كما يروج لذلك، وحسبي هنا أن أعرض بتمام الأمانة أقوال الشيخ وآراءه في مسألتي الأصالة والحداثة حتى يكون المطّلع في سعة من الأمر.

الأصالة في فكر الشيخ:

إن مقوّمات الأصالة تعود أساسا إلى أركان الهويّة الدينية والمتمثّلة في القرآن الكريم المنزّل على فؤاد النبي صلّى الله عليه وسلّم والذي «**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**»[1].

وكذلك السنة النبوية المطهّرة التي مثّلت جزءا لا يتجزأ من التشريع، وهي رافد أساسي لا غنى لنا عنه، ولا يمكن للمسلم فهم دينه إلاّ بالاستناد إلى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، لذلك فإن المسلم مطالب بالتمسك بهما ومدعوّ إلى واجب الإسهام الناجع المرتجي في تحقيق تطلعات المجتمع .

(1) **سورة فصلت، الآية42**

ثم تضاف إلى ذلك اللغة والثقافة والإرث الفكري والقيمي ليشكّل كل هذا حضارة مكتملة الأركان نابعة من إرادة بشرية خصيبة محافظة بكل اعتزاز وفخر على موروثها المتنوع، وفي هذا السياق يرى شيخنا الحبيب بأن المسلمين « **أشد الناس ايمانا بأن الأمم لا يمكن أن يطرد سيرها نحو الخير والازدهار والقوة ولا يمكن لها أن تجمع بين يديها أوفر نسبة من السلامة والاستقرار إلا إذا احتفظت بمقوّماتها الذاتية وجعلتها حجر الزاوية ورأس المال**»[1].

إنّ الحفاظ على المقومات الذاتية للشعوب وصيانة قدراتها يدفع بها إلى الاعتزاز بالانتساب إلى تاريخها الطويل وتقوية اللحمة الجامعة بين المواطنين، ومن خلال ذلك إلى حب الوطن وإعلاء رايته بين الأمم، فحب الوطن تعبير عن الاعتزاز بالانتماء إلى الهوّية والأصالة بأبعادها الروحيّة والثقافيّة، والفكريّة والحضاريّة، وهو الذي يدفع الأجيال المتعاقبة إلى الإعلاء من شأنه والتضحية في سبيله والسعي إلى خدمته حتى تكون رايته خفاقة بين الأمم، والوفاء للموروث دون تنكّر له أو تنصّل من الماضي وما يزخر به من ثراء وخصوبة، وفي ذلك يقول؛

و إذا تنكر للأصالة أرعن

فهو الدعيّ وأنفه برغام

زحفت قشور حضارة مزعومة

نحو الشباب فغاب في الأوهام[2]

إنّنا بحفاظنا على شخصيتنا الحضارية نضمن استمرار التواصل بين السلف والخلف، ونحافظ على خوالد القيم التي ورثناها كابرا عن كابر، ونهيئ لأنفسنا مكانا مميّزا بين الأمم حتى لا نكون مجرّد فاصل في التاريخ، نجترّ الماضي فحسب وليس لنا في الحاضر ولا في المستقبل حظّا،

فكأني بشيخنا الحبيب رحمه الله استشرف قادم السنين وما يستبطنه المستقبل من مفاجآت – فكان سابقا لعصره – فأراد أن يحذّرنا من الوقوع في فخّ العولمة، التي تهدف إلى مسخ كل الهويّات والثقافات والحضارات لكي تجعل الشعوب والأمم الضعيفة فاقدة لبوصلتها، تعيش في تبعيّة مقيتة، عاجزة عن الولوج إلى سلّم الحضارة

(1) من وحي الإسلام ؛ منشورات جوهر الإسلام 1401ه- 1981م ص88-89
(2) ديوان «مع الله»، – ص 38

المنشود، وذلك بسبب ما يسود من أهواء المفاضلة بين الأجناس، والمفاخرة بها إلى حد الشعور بمركّب الاستعلاء والغرور والاستقواء، والايهام بأن قدره لا يتمثّل في غير الرضى بمنزلة العاجز، التابع الفاقد لكل مكوّنات الشخصيّة الحضارية.

الحداثة في فكر الشيخ:

يؤكّد شيخنا أن الدين الإسلامي الحنيف يتّسم بالتفتّح والتشجيع على تحصيل العلوم، وينبذ التحجّر والانغلاق، بل يتّصف بالتعصير والتقدميّة على حسب تعبيره دون الذوبان في الآخر، وفي ذلك يقول « **لسنا من أنصار الانغلاق ولا من المنادين بالتحجّر والجمود لأن ديننا المتفتّح يأبى علينا قبل غيره ذلك، وإخلاصنا وتفهّمنا لحقائقه وتشبّعنا بمبادئه هو الذي يشعرنا بحتميّة ذلك**»[1].

وفي البيان الذي قدمه شيخنا إلى اللجنة العليا للحزب الاشتراكي الدستوري سنة 1970 يؤّكد نفس المنحى والتوجه، حيث يقول « **لسنا من أنصار الانغلاق أو الانعزال بل نحن من المؤمنين بالتفتح الذي لا يصل إلى حدّ الذوبان والانسلاخ**»[2].

انّ شيخنا يشدّد على أن يكون المسلم متفتحا ومواكبا لمتطلبات الحداثة، ولا يتسنى له أن يعيش في جوّ من الانغلاق والتحجّر الذي يؤدي به إلى العزلة . لأن المسلم الواعي يجب أن يتعلّق بناصية العلم حتى يواكب ما يشهده العالم من تطور لافت، ومتطلّعا إلى كل فتح علميّ جديد حسب تعبيره، داعيا في ذلك الشباب التونسي إلى الانكباب على تحصيل العلوم باختلاف الاختصاصات دون المساس بالهوية أو الذوبان في تلابيب الغرب لأن التبحّر في العلوم لا يعني الاغتراب، وهو ما يخشاه شيخنا حفاظا منه على الدين والوطن .

إنّ تكوين الإنسان الحداثي، القادر بفكره المبدع على تغيير الواقع نحو الأفق المنشود بالعلم والدين، لهو الهدف الذي يرمي إلى تحقيقه شيخنا المصلح، لذا تراه يؤكد على ضرورة المزاوجة بين الدين والعلم، والأصالة والمعاصرة، في محاولة منه لتثبيت الهويّة وترسيخها لدى فئة الشباب الذين يمثلون حلم الأمة ومستقبلها مذكّرا بما كان عليه المسلمون من ريادة في العالم ومعبّرا عن ذلك في شكل صيحة فزع أطلقها من خلال ديوانه، قائلا في نغم آسر وقافية يجلّلها الأسى :

(1) من وحي الإسلام ؛ منشورات جوهر الإسلام 1401ه- 1981م ص89-90
(2) مجلة «جوهر الإسلام « العدد 9/ 10 مارس 2025.ص 161

« إيه يا أمة الخلود لماذا
فاتك الركب؟ أفصحي بالمقال
ليت شعري كم ذا يدوم هجوع
هل أصيب اتصالنا بانفصال؟[1]»

و هو بذلك يهيب بالفاعل السياسي لكي يتحمّل المسؤولية التاريخية في إصلاح المناهج التربوية التي تراعي المواءمة بين الثابت والمتحوّل، وبين الأصل والعصر، وهو أبلغ ما يتبدّى به التجانس والتطابق من غايات الإصلاح التربوي المنشود صونا لتراثنا الأصيل، وبناء لمستقبل واعد وفق منهج قويم ينير سبل الصواب ويفضي إلى سلامة المصير، فمدرسة الغد التي لم تزل حلما في تونس هي مدرسة التوازن والتقدّم والحداثة المتّصلة بالهويّة والقدرة على نحت الجيل المبتغى، بالإيمان والعقل، عالم لا تحرّر فيه من عوامل الردّة سوى بتربية رشيدة وفكر خصيب يهدف إلى تنمية المدارك العلميّة ، من جهة والحفاظ على مقومات الهوية والأصالة ومن جهة ثانية، فلا انفصام بينهما، بل هما صنوان لا يفترقان، مرتبطان أشد الارتباط ببعضهما البعض.

و خلاصة القول في هذا المجال أن شيخنا الحبيب الزيتونيّ الأصيل، قد رسّخ قيمة الوسطيّة في كل آثاره ومواقفه،و دعا إلى ترشيد الفعل التربوي الذي تتحقق به المبادئ الإسلامية الخالدة، فكان يشدّد على تمسك الشباب بدينه وتراثه، ويدعوه إلى التفتح على علوم العصر، والاقتدار الذاتي على كسب رهانات الحداثة دون الذوبان فيها أو الافتتان ببهرجها، وفي ذلك يتساءل قائلا في ديوانه «مع الله»

هل فتّنا ببهرج وطلاء؟
وانتشينا بفارغ الآمال؟
ونبذنا تراثنا بازدراء
في عقوق وقحة وابتذال ؟[2]

لله در شيخنا الفاضل رمز الوسطية والاعتدال الداعي إلى ربه وفق الآية الكريمة **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**[3].

(1) ديوان مع الله – ص10
(2) ديوان «مع الله»– ص 11
(3) سورة البقرة – الآية 143

فالمبتغى من خطاب شيخنا إنما يتمثل في تجلية صورة الإسلام الحق، بما هو دين الاجتهاد والوسطية الذي يواكب تحولات العصر ويتخذ الموقف السديد من أمهات النوازل التي تطفو على الساحة، فيكون بذلك التحام الإسلام بالحياة، وجمال الحياة بقيم الإسلام، لأنها تراعي الفطرة البشرية، وترفع من شأن الذات الإنسانية بالعقل السليم والخلق الرضي النابع من قيم الإسلام السمحة التي تضمن التوازن بين البعدين المادي والروحي في حركة المجتمع الدائبة، التي لا تعرف القرار والجمود.

* أخيرا، أتوجه بالشكر الذي لا مزيد عليه إلى الابن البار الشيخ صلاح الدين المستاوي على جهده المحمود في تنظيم هذا اللقاء المبارك بمناسبة مائوية شيخنا المنعّم المحتفى به الحبيب المستاوي طيب الله ثراه، العالم والمصلح والشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بدروسه ونصحه وشعره، فكان قمينا بان تقام الندوات لدراسة مآثره حتى لا تبقى مغمورة بين طيّات الكتب وأدراج المكتبات، فجازاه الله خير الجزاء وجعله في عليّين لقاء ما قدمه للبشرية من تراث نافع لا يبلى على مدى السنين والأعوام.

رب ثبت على الطريق خطانا

رب ثبت على الطريق خطانا ... واجعل العزم مثل سيف صقيل
وتفضل بحمل ازكى صلاة ... لرسول الختام والتكميل
احمد المجتبى شفيع البرايا ... صاحب الفضل مصطفى التفضيل
وعلى الال والصحابة طرا ... بطريق الاجمال والتفصيل
وعلى المقتفي خطاهم بصدق ... في مدى واصل ليوم الرحيل

شعر الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

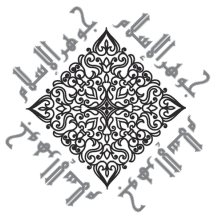

هندسة العقل الفقهي في زمن الذكاء الاصطناعي

بقلم الدكتور محمد البشاري

أمين عام المجلس العالمي للمجتمعات المسلمة

(الإمارات)

يشهد عالمنا اليوم ثورة معرفية غير مسبوقة، تقودها تقنيات الذكاء الاصطناعي، وتعيد تشكيل أنماط الحياة والعمل والتفكير. هذه التحولات السريعة لم تقتصر على الاقتصاد والسياسة والعلوم، بل امتدت إلى ميدان القيم والدين، لتطرح على الفقه الإسلامي أسئلةً جديدة، ولتضع العقلَ الفقهي أمام تحديات لم يعرفها من قبل.

لقد اعتاد الفقهاءُ عبر القرون أن يستنبطوا الأحكامَ في بيئة معرفية واجتماعية يمكن استيعابها من خلال أدوات الاجتهاد الموروثة. أما اليوم، فنحن أمام وقائع هجينة، رقمية الطابع، تتجاوز الحدودَ المكانيةَ والزمانية، وتولِّد إشكالاتٍ فقهيةً لم يسبق لها مثيل: من العقود الذكية والعملات المشفرة، إلى الروبوتات والأنظمة الخوارزمية التي تتخذ قرارات تؤثر في حياة البشر. وفي خضم هذا المشهد، يبرز السؤال:

كيف يمكن للعقل الفقهي أن يحافظ على أصالته، ويطور في الوقت نفسه أدواته ليتعامل مع هذا الواقع الجديد؟

إن هندسة العقل الفقهي في زمن الذكاء الاصطناعي لا تعني القطيعةَ مع التراث، ولا الانبهار الأعمى بالتقنية، بل تعني بناءَ منظومة معرفية متكاملة تجمع بين رسوخ العلوم الشرعية، وفهم البيئة الرقمية، والوعي الأخلاقي، والبصيرة الاستشرافية. وهذه المنظومة تقوم على أربعة محاور أساسية.

* وأولا تلك المحاور: هو التأصيل الشرعي العميق، إذ لا غنى للعقل الفقهي عن الإحاطة بأصول الاستنباط ومقاصد الشريعة وفروع الفقه، مع القدرة على تنزيل الأحكام على الوقائع المستجدة. فالفقه بلا أصول يصبح ارتجالاً، والاجتهادُ بلا مقاصد يتحول إلى نصوص جامدة قد تعجز عن تحقيق المصلحة أو درء المفسدة.

* وثانيها : الوعي الرقمي؛ فالفقه في عصر الذكاء الاصطناعي لا يمكن أن ينعزل عن فهم التكنولوجيا التي تصوغ حياة الناس. والمفتي الذي لا يعرف كيف تعمل العقود الرقمية أو العملات الافتراضية أو تقنيات الذكاء الاصطناعي، لن يستطيع أن يتصور المسألةَ تصوراً صحيحاً، والحكم على الشيء فرع عن تصوره.

* وثالثها: النزاهة الأخلاقية؛ فالفتوى ليست مجرد نتاج معرفي، بل هي أمانة ومسؤولية أمام الله والمجتمع. ومع انفتاح منصات الفتوى عبر الفضاء الرقمي، زادت الضغوط على الفقيه، سواء من الرأي العام أو من المصالح الاقتصادية والسياسية. وهنا تبرز أهمية **الضمير الفقهي المستقيم، القادر على مقاومة الهوى والحفاظ على استقلالية الفتوى ونقائها**.

* أما المحور الرابع والأخير فهو البصيرة الاستشرافية، ذلك أن الذكاء الاصطناعي لا يطرح تحدياته على الحاضر فقط، بل يرسم ملامح المستقبل. والعقل الفقهي الرشيد هو الذي يدرك المآلات، ويقدِّر أثرَ الحكم قبل صدوره، مستفيداً من أدوات التحليل والتنبؤ المتاحة اليوم، ليضمن إسهام الفتوى في البناء والإصلاح، لا في زيادة التعقيد أو إحداث الضرر.

إن هندسة العقل الفقهي في هذا السياق ليست رفاهية فكرية، بل هي ضرورة ملحّة تفرضها مسؤولية صَون الدين وحماية المجتمع في زمن تتسارع فيه المتغيرات. وإذا لم يبادر الفقهاء والمؤسسات العلمية إلى تطوير مناهج التكوين الفقهي بما يتلاءم مع هذه التحولات، فإن فجوة الوعي بين النصوص الشرعية والواقع الرقمي ستتسع، وقد يملأها غير المؤهلين بفتاوى تفتقر إلى العمق والدقة.

* لقد آن الأوان لأن ننظر إلى الفتوى بوصفها عملية مركبة، تتطلب عقلاً فقهياً مهندساً، قادراً على الربط بين ثوابت الشريعة ومتغيرات العصر، وعلى التعامل مع الذكاء الاصطناعي لا كخطر يهدد الدين، بل كأداة يمكن توظيفها لخدمة المقاصد الشرعية، وتيسير حياة الناس، وحماية القيم الإنسانية الجامعة.

* إن التحدي الذي يواجهنا اليوم هو نفسه الفرصة التي يمكن أن تَصنع غداً أفضل، إذا ما أعددنا العقلَ الفقهي إعداداً يؤهله للقيادة في زمن الذكاء الاصطناعي.

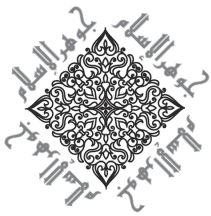

الثورة الرقمية والدعوة الإسلامية

بقلم الأستاذ إبراهيم الربو

(ليبيا)

ما دفعني لكتابة هذه المقالة آمران أراهما جديرين بالذكر أولاهما يتعلق بالإسلام الذي شرفنا الله تعالى أن نكون من أمته وأن نكون شهداء على الناس بالمقدار الذي كان فيه الرسول شاهداً علينا، وأن نحمل رسالته إلى العالمين وذلك فرض عين على كلّ مسلم وفق إمكانياته وقدراته وعلاقاته وما آتاه الله من علم ومعرفة ودراية وتلك هي رسالة التبليغ بهذا الدين في شموليته وعقلانيته وانسجامه مع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وهي مسؤولية تعد أكثر وجوبا على الذين هيأهم الله لتلك المهمة بأن يسّر لهم أسباب العلم والمعرفة ما لم يتيسر لغيرهم، فكانوا علماء وباحثين ومؤثرين في قلوب الناس بما يملكونه من حجة وما يتسمون به من فصاحة في اللسان وحضور في البديهة وقدرة على المحاججة، والحمد لله هم آلاف مؤلفة يضطلعون اليوم بمهمة الدعوة في المشارق والمغارب،

* **أما الأمر الثاني** الذي دفعني للكتابة فيرتبط بتداعيات هذه الثورة الرقمية غير المسبوقة في تاريخ البشرية، ثورة غيّرت وجه العالم وكان نتاجها تطورا غير مسبوق في وسائل التواصل الاجتماعي حوّل العالم بالفعل الذي حوله إلى قرية واحدة، وصارت المعلومة تطير صوتا وصورة من أقصى الغرب لأقصى الشرق في دقائق، وبالتالي فإن التفاعل مع تلك المعلومة والتأثر بها سلباً وإيجابا يتم أيضا في دقائق،، إنه بالفعل عالم جديد تجاوز عقودا من تواصل تقليدي قوامه البريد والتلغراف

والهاتف العادي، ولكن الله تعالى الذي علّم الإنسان ما لم يعلم وميّزه عن سائر مخلوقاته بهذا العقل الذي أنتج كل هذا التقدم الذي نراه اليوم في كل المجالات هو ما مكّن الإنسان من التعبير عن أفكاره الدينية أو السياسية وإشاعتها بين الناس بوسائل جديدة وسريعة ومدعّمة بوسائل سمعية وبصرية هادفاً إلى تحقيق أكبر تأثير في عقول الناس ومساهما في تشكيل الرأي العام وفق معتقداته أو على الأقل مؤثراً في توجيه ذلك الرأي حيال تلك المعتقدات،، واستفادت الدعوة الإسلامية من هذه التقنيات، وظهرت أساليب دعوية أكثر تأثيراً في حياة الناس وأوسع انتشاراً بينهم من الناحية الجغرافية، وأسرع انتقالا من المرسِل إلى المُسْتهدفين برسالته، وهكذا فإن مقطعا دعويا مصوّرا أو مسجّلا يمكن أن ينتشر في قارات العالم الخمس في دقائق، إنها فعلا ثورة رقمية أرغمتْ الزمن على الانصياع لإرادتها إلى هذا الحد،،

وأنا هنا لا أنكر ما تحقق للدعوة الإسلامية من نجاحات بفضل تلك الوسائل من تعريف بالإسلام دينا وثقافة وحضارة ومن دحض لأفكار ومواقف المتَجنين عليه بقصد أو بدون قصد.

لكن من طبيعة البشر أن ينظر أيضا إلى الجانب السلبي لأي تطور جديد في حالة سوء استخدامها وهو ما سأحاول التفصيل فيه وخاصة فيما يتعلق بالدعوة إلى دين الله، وأعتقد أن ما سأقوله هو أمر لازم الفائدة وفق تعبير البلاغيين أي أن جُلّ القراء على دراية بهذا الأمر متمثلاً في ظهور مقاطع فيديو كثيرة لبعض الدعاة والمشايخ يظنون أنهم يُحسنون صنعاً في إظهار معجزات القرآن أو التدليل على إنسانيته وعدالة أحكامه. وهم في الواقع يسيئون إساءة كبيرة للإسلام لما تحمله مقاطعهم من خرافات تصطدم بالعقل وتجانب المنطق وتعطي الفرصة لبعض الذين يبحثون عن إساءات للإسلام ليبرهنوا على أنه دين مليّ بالخرافات زاخر بالأكاذيب، فيجدون ضالتهم في محتوى تلك المقاطع ويقدمون أصحابها على أنهم من كبار علماء المسلمين وأن الإسلام هو هذا الذي يشيعونه في مقاطعهم، والواقع أن جل أولئك الذين يقولون عن أنفسهم بأنهم شيوخ أو علماء هم غير ذلك، ولو أنهم كذلك لما صدرت عنهم مثل تلك الخرافات والخزعبلات التي يشيعونها بين الناس على أنها من الإسلام، ولقد صُدمتُ حيال محتوى مقاطع فيديو لدعاة معروفين على الصعيد الإسلامي والعالمي مما تحمله تلك المقاطع من أراجيف كانت مادة للقدح في الإسلام وعقلانيته وجنوحه للخرافات، وأسوق هنا دليلا على سبيل المثال لا الحصر لداعية

سعودي معروف هو الشيخ (محمد العريفي) وهو يتحدث عن حد الزاني رجما (كما يعتقد بعض الفقهاء) فيشير إلى قصة وردت في الأثر فحواها أن قِرْدةً رجمها مجموعة قرود لأنها أقدمتْ على ذلك الذنب، ويروي تفاصيل مضحكة عن ارتكابها لتلك الفِعلة التي كان عقابها أن رجمها باقي القرود حتى الموت، وفي تفاصيل القصة استهتار بالعقول وتسفيها لأحكام الله، وأنا على يقين بأن الشيخ العريفي نفسه قد نَدِم على إيراد تلك القصة بالتفاصيل التي ساقها وهو الداعية الذي له صولات في مجال الدعوة لا يتجاهلها إلا مكابر، لكنه التسرّع وأحيانا الحماس الذي يوقع في مثل هذه السقطات،، وهناك العشرات ممن يقدمون أنفسهم شيوخا وإن لم يكن لهم من المشيخة غير العمة واللحية يخرجون بمقاطع هي في واقعها مسيئة للإسلام ظانين أنهم يخدمونه، والنتيجة أن تلك المقاطع قد تلقفتها بعض الأصوات المناوئة للإسلام وقدمتها دليلا على سذاجة بعض المعتقدات الإسلامية، منها كلام مُعاد عن قصص رضاعة الكبير والتداوي ببول الإبل، وإباحة زواج الأب لابنته من الزنا، وغير ذلك كثير مما هو وارد فعلا في تراثنا، والذي أصبح اليوم لزاما على العقل الإسلامي من مراجعته وتجاوز ما فيه من غث سواءً أكان في صور أحاديث ضعيفة أو موضوعة أو غير قابلة للتطبيق في عصرنا، أو في صور قصص وحوادث ومرويات في عصور التخلف والانحطاط الحضاري،، وكم مرة تستخدم تلك الهرطقات في مقاطع من يسمون أنفسهم مشايخ للتدليل على عدم عقلانية الإسلام وجنوحه لماضٍ ساد فيه الجهل والتخلف، والمقام هنا لا يتسع لذلك وحسبي أن أقدم دليلا على سبيل المثال لكيف تُساء مضامين تلك المقاطع من بعض الأطراف للنيل من الإسلام، فكم مرة تابعتُ على منصات التواصل الاجتماعي وخاصة (الفيس بوك) برنامج لسيدة مصرية مسيحية تسميه (هُوّا تحت العِمّة إييه) تقدم من خلاله الكثير الكثير من الهرطقات التي يطلقها بعض مشايخنا في مقاطع فيديو في محتويات منسوبة للإسلام، والإسلام بريٌ منها، وهذا البرنامج هو مثال من عشرات الأمثلة التي يُساء فيها للإسلام بناءً على ما أشاعتْه تلك المقاطع بين الناس،،!!! إن مستحدثات التحول الرقمي اليوم بقدر ما توفره من مساحات غير مسبوقة للتعريف بالإسلام وحضارته تظل فيها مساحات للنيل منه إذا توفرت المادة المناسبة على ذلك وخاصة إذا كان الذين يوفرونها ليسوا فقط مسلمين بل شيوخاً يحملون فكره وينطقون باسمه،،،!!

مفاهيم إسلامية

سيدنا محمد رسول الله ﷺ منقذ البشرية

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

نلتقي في كل سنة بيوم من أيام ربيع الأول وعلى وجه التحديد باليوم الثاني عشر منه. ذلك اليوم الذي انبلج صبحه الضحوك عن مولود لا كالمواليد واقتحم عتبة الحياة فيه رجل أعطى للإنسانية صبغتها الحق ومكنها من إبراز مميزاتها الأصلية الكامنة فيها والمحجبة بأنواع المغلفات وألوان الطفيليات

فلا عجب إذن من أن يحرك هذا الحدث العظيم ما في الكون ومن في الكون وان تغمر المسرة وحش الفلاة، وطيور الجو، وأجناد الملائكة، ولا يبقى في غفلته إلا الإنسان المحتاج دائما إلى الصقل والتطهير، والذي يحجبه ضلاله عن كماله، وحاضره عن مآله.

* وإذا احتفلت الأمم بميلاد أبطالها ورجالها الذين حبسوا حياتهم عليها وحققوا لها ما تطمح إليه من عز وسؤدد. فان الأمة الإسلامية تحتفل بميلاد محمد عليه الصلاة والسلام لا معنى انه بطل أو محرر أو زعيم لان هذه المعاني الأرضية تتضاءل أمام جلال الرسالة وجمال الوراثة وكمال الخلافة.

* لم يكن الرسول العربي ابن بيئته ولا نتاج أمته، ولا حكر فترته، بل كان ابن الإنسانية وأباها، الذي جلى الغمّ عنها وأجلاها، ومن هنا يصبح ميلاده صلى الله

عليه وسلم ميلاد الأخوة البشرية والانصهار الإنساني. انه مولد العدالة والمساواة، ومولد التكافل الصحيح والتكافؤ الصريح. ذلك التكافل الذي يجعل الفقير صاحب حق في أموال أخيه الغني ببذل عفوي وتشريك تلقائي يهمس به القرآن في آذان الموسرين همسا لطيفا فيقول ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

* وذلك التكافؤ الذي يجعل السيد العظيم لا يستنكف من إمرة العبد الأسود إذا رفعته مواهبه إلى مستوى القيادة والرئاسة (عليكم بالسمع والطاعة ولو تأمر عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة) (كلكم من آدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لابيض على اسود ولا لاسود على ابيض إلا بالتقوى-إن أكرمكم عند الله اتقاكم).

وإذا بقيت الإنسانية ترسف في قيود شقاوتها وتقاسي ما جلبته إليها أيديها الملوثة بدم الفضيلة والعدالة فما ذلك إلا لأنها لم تجب داعي الله ولم تلتفت إلى الهدي السماوي وتعالج به أدواءها وتحل به مشكلاتها ولن تظفر بالدواء أو الحل في غيره.

إن مولد محمد صلى الله عليه وسلم هو مولد هذه المعاني كلها فهو للإنسانية ومنها. وهو الجديد المتجدد، لأنه الحياة والسر والروح، فإذا استلهم منه الخطباء والشعراء، والمصلحون والحكماء، فهو الملهم بكل خير، وهو الممد بكل رشاد وسداد.

وشتان بين الشامل والضيق، وبين المعنى والحس، وبين الروح الخالد، والجسم الفاني، وشتان بين الدستور الناسخ، والدساتير المعرضة للتحوير والتبديل. وأخيرا فكل ما في محمد وعن محمد عليه الصلاة والسلام هو إلهي سماوي وهو جدير بالدرس والتعمق والاعتبار. فسلام على محمد يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾صدق الله العظيم.

بعض المختارات التاريخيّة من العهد المريني فِي مَوْلِـدِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّفَ وَكَرَّم مِن كَلَام ابْنِ عَبَّادِ الرُّندِيّ الفَاسِيّ الشَاذِليّ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

من مجموع رسائله المشهور بعنوان الرسائل الكبرى

اعتنى بها الأستاذ عبد الهادي النجار الشاذلي

(الولايات المتحدة /المغرب)

نبدأ في هذا العدد من جوهر الإسلام بمناسبة المولد النبوي بتقديم بعض مختارات من كلام أَحد كبار العلماء المغاربة اللذين ألّفوا في السلوك والتربية والأخلاق؛ إنّه الولي الصَّالِحُ وَالفقيه المحدّث سيّدي محمّد بن عبّاد الرنديُّ النفزي الفاسي[1]- رضي اللّه تعالى عنه ونفعنا ببركاته -الَّذِي عاش أيام دولة المرينيين في

(1) هو أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن محمد بن عبّاد النفزي الحميري الرندي. انظر **فهرسة الإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن أحمد السراج**، ص 225-242؛ **أنس الفقير** لابن قنفذ،ص 79-80؛ **نفح الطيب** للمقري، ج 5، ص 341؛ **الروض العطر** لابن عيشون، ص 195-204؛**إفادة المرتاد بالتعريف بالشيخ ابن عبّاد** لعلي الزبادي؛ **السلسل العذب** للحضرمي، ص 77-79؛ **الِاستقصا** للناصري، ج 4، ص 84؛ **نيل الِابتهاج** لأحمد بابا التنبكتي، ج 2، ص 139-144؛ **كفاية الـمحتاج** لأحمد بابا التنبكتي، ص 369؛ **جذوة الِاقتباس** لابن القاضي، ج 1، ص 315؛ **درة الحجال** لابن القاضي، ج 2، ص 276؛ **سلوة الأنفاس** للكتاني، ج 2، ص 149؛ **شجرة النور الزكية** لابن مخلوف، ج 1، ص 343؛ **معجم المؤلفين** لكحالة، ج 8، ص 207-208؛ **طبقات الشاذلية الكبرى** لأبي علي الحسن الكوهن، ص 89-93؛ **المطرب في مشاهير أولياء**

القرن الثامن الهجري، وكان إماماً وخطيباً بجامع القرويين في مدينة فاس- حفظها اللَّه من كلّ بأس-وبها توفّي ودفن سنة 792ه. وقد شهد له معاصروه أنه كان قدوة في سلوكه وآرائه مِمّا جعله يحظى بالاحترام عند الخاصّة والعامّة؛ بل كان **من أبرز من أسسّوا للثّوابت الرّوحيّة الدّينيّة للطريقة الشاذلية بعد الإمام أبي الحسن الشاذلي وابن عطاء الله السكندري - رحمهما الله**. وقد مثّل في سلوكه الـمَسلَك الأخلاقي الشاذلي الـمعتدل الأَصيل. هكذا عاش في فاس حتّى توفّي - رحمه الله - سنة 792هـ/ 1390 محيث دفن داخل باب الفتوح في محلّ يسمّى «كدية البراطيل».

وهذه المختارات تمثّل أجوبة ابن عبّاد للأسئلة التي وجـهها إليه زميله وتلميذه يحيى السرّاج (805 هـ/ 1402م) عن الاحتفال بالـمولِد المعتاد في زمانه. يحيى هذا كان محدّثا مشهورا وكان كذلك معلّمـاً للقرآن الكريم للأطفال في مسجد في فاس. فكلام ابن عبّاد يوضح لنا الظروف الراهنة في العهد المريني في فاس عـلميّا روحيّا واجتماعيّا عبر جـميع طبقات الناس. اخترتُ هذه الـمختارات من **الرسائل الكبرى**.[1]

أقوال العلماء عن الرسائل الكبرى قديماً وحديثاً:

مِن أبرز مَن ذكرها تلميذُ ابنِ عبّاد ومحبّه من صغره، الشيخُ أبو يحيى محمد بن السكّاك (818 ه/ 1415م)، يذكر مدار الرسائل في كتابه **الأساليب**،وهذا نصّ عبارته:

(مدارها على الإرشاد إلى البراءة من الحول والقوّة، وقد احتوت على نُبَذ تشبّه أنفاس الأكابر؛ وما أشبّهه في حسن تصرّفه في الطريق الشاذلي وجودة تنزيله له على الصور الجزئية وبسط التفسير وإنهاء البيان فيه إلى أقصى غاياته والتفنّن في تقريب ما غَمُضَ إلى الأذهان بالأمثلة الوضعية والتراكيب المألوفة عند العامّة إلّا بالفقيه الحافظ المحصِّل الإمام ابن رُشد، فإنّه قرّب المذهب المالكي تقريباً لم يُسبَق إليه).

رحمة الله عليه - وكذا سيّدنا الخطيب العارف قرّب حقائق الشاذلية تقريباً لم يُسبق إليه.[2]

المغرب لعبد الله التليدي، ص 136-139؛ «ابن عبّاد الرندي: حياته ومؤلفاته»للغنيـمي التفتازاني، في **مجلة معهد الدراسات الإسلامية**، مدريد، 1958، ص 221-258. وانظر أيضًا إلى **الرسائل الصغرى** و**الرسائل الكبرى** لابن عباد الرندي وأيضا إلى

Paul Nwiya, *Ibn Abbad de* Ronda (Beyrouth: ImprimerieCatholique, 1965).

(1) محمد بن عبّاد الرندي، **الرسائل الكبرى**، الدراسة والتحقيق:كَنِث هونِركَمب (بيروت: دار المشرق، 2005.)

(2) **كتاب الأساليب**، مخطوطة محفوظة في الإسكوريال تحت رقم 374، 108/ ب.

وقال أحمد زروق في **عُدّة المريد الصادق** في كلامه عن أصول القوم الأربع: «الثاني: شهود المنّة باستصحاب الشكر، ويجري ذلك في الجلب والدفع ديناً ودنياً وعِلماً وعملاً وحالاً وعليه مدار طريق الشاذليّة، وتحريرها في كتب ابن عطاء الله، وزبدتها في رسائل ابن عبّاد وشرحه.»[1]

وقال يحيى السراج في **فهرسته**: «تكلّم (ابن عبّاد) في علوم الأحوال والمقامات وما يدخلها من العلل والآفات. وألّف في ذلك التواليف العجيبة والتصانيف البديعة، وله أجوبة كثيرة في مسائل من العلوم، حتّى جمعتُ منها نحو مجلدين.»[2]

ويقول عن مزايا **الرسائل الكبرى** الأستاذ محمد بن شريفة وزارة الدولة المغربية المكلفة بالشؤون الثقافية بقوله:

(ونرى أنّ أصالة هذه الرسائل لا تتمثّل في مضامينها الصوفية فحسب، وإنّما تتمثّل أيضاً في مزاياها الأدبية والاِجتماعية، وأسلوب ابن عبّاد في هذه الرسائل يجمع بين الجزالة والطلاوة وبين تقريب المعاني وتوضيحها أحياناً بألفاظ وأمثال أندلسيّة ومغربيّة، وقد جرت عادة معظم المترسّلين في الأدب العربيّ على ترسّم الفُصُح النهجية والرواسم التي تكاد تبتذل من تعاقب الاِستعمال؛ أمّا ابن عبّاد الرندي، فلم يكن في ترسّله الإخواني يترسّم الأساليب الجارية أو يحتذي القوالب الجامدة وإنّما كان يستمدّ من طبع قوي وقريحة وقّادة وسليقة سليمة يسندها إلمام دقيق بلغة العامّة في عصره وتنبّه زائد إلى أساليبهم واستحسان لمقاصدهم واستنبال لأغراضهم، ولهذا لا نجده يأنف – كما أنف غيره – من التوكّؤ على معاني العامّة والاِعتماد على ألفاظهم وأمثالهم.)[3]

ولابن عبّاد في ذلك رأي يعبّر عنه بقوله في أعقاب استشهاده ببعض الأمثال العاميّة مخاطباً يحيى السرّاج في **الرسائل الكبرى**: «والألفاظ العامية كثيراً ما أسوقها في كتبي وأصل بها الكلام الفصيح العربيّ، لأنّ الأمثال العامية تشير إلى معانٍ حقيقية لا يمكن أن يستفاد مثلها إلّا من الكلمات الحكميّة،ثم هي أعلق بالقلوب

(1) أحمد زرّوق، «عدّة المريد الصادق»في **الشيخ أحمد زروق: آراؤه الإصلاحيّة**، تحقيق إدريس عزوزي (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1998)، ص 432.

(2) **فهرسة أبي زكريا يحيى بن أحمد السرّاج الفاسي**، ص 226.

(3) أبو يحيى الزجالي (694/ 1294)، **أمثال العوام في الأندلس**، تحقيق محمد بن شريفة، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية: الرباط، 1395/ 1975، ج 1، ص 131.

والنفوس من كلّ مُنَـمِّق من الكلام أودع الدفاتر والطروس، فلذلك اعتـمدتها، فاعلم هذا.»[1] فالآن نقدّم للقارئ مختارات مِن كلام ابن عبّاد عن الـمَولِد:

(1)

جواب سؤال عن بعض ما يشمئز منه يحيى مِن عادات الناس في فاس في الاحتفال بالـمولِد، وخصوصا ما يقومون بـه في المدارس القرآنيّة، ونصيحة ابن عبّاد له في ذلك. وهذا الجزء من الرسالة التاسعة:

(وقد بلغنا كتابكم وذكرتم فيه أنّكم وقفتم على جواب المسائل الّتي سألتـموني عنـها. ومِن جملتـها مسألة الـمَولِد الـمبارك، وحكمتم بأنّ ما ذكرتُـه فيـها في غاية الحسن، إلّا أنّ أنفسكم اشـمأزت مِن اجتماع وَقْدِ الشمع مع قراءة الألواح، وثقل ذلك عليكم. ولـم يعجبني هذا الكلام منكم لأنّي تعرّفتُ منه أنّكم ما أردتم سلوك مسلك الناس فيـما يفعلونه ذلك اليوم بالكلّيّة – وإنْ أدّى ذلك إلى محظور أو مخالفتـهم بالكليّة حتّى تكون عَلَـمًا بين الجمهور – لكن أردتم أن يكون أحد هذين الوجهين على وجه لا ينكره شرع ولا يتوجّه قِـبَلَ مَن يفعله زجر ولا ردع – وخصوصاً الوجه الأوّل. فإذا لـم تجدوا ما يـمنعكم منه، طابت نفوسكم بعمله وانشرحت صدوركم في آخره وأوّله. وهذا المسلك الذي سلكتم في معاملتكم لربّـكم في هذه النازلة ليس بـمرضي عند أرباب التوفيق الذين استضاؤوا بأنوار المعرفة والتحقيق، لأنّ العبد مِن شأنه أن لا يكون به غرض يراعيه ويودّ أن يوافقه مولاه عليه، وأدبه في هذا خير له مِن وقوع موافقة مولاه له وإمضاء غرضه. وذلك بأن يكون غرضه تابعاً لِمَا يأمره به مولاه. فإذا ورد منه ما يكون له فيه غرض فذلك هو الزبد بالشهد، وإلّا كان غرضه ملغًى لا عبرة به. وأنـتم في هذه النازلة حِدتُم عن طريق الأدب وإن كنتم عازمين على القيام بـمـا عليكم وجب – والله تعالى يغفر لنا ولكم. وفهمتُ هذا كلّه مِن قولكم، إلّا إن ذكرتم لي ما يناقصه فأنا أرجع إليه. فلولا تشوّفكم إلى ذلك ما نصصتم عليه. وكيف أذكر لكم ما يناقضه، والحال قد ألجأتنا إلى ما ذكرتُـه لكم حتّى لـم نجد محيصاً عنه، لأنّا إن جمعنا بين وَقْدِ الشمع وذلك الـمقال المعروف لـم يخل ذلك الـموطن من وقوع المنكر المألوف – شاء مَن شاء وأبى مَن أبى. وما يؤدّي إلى هذا كيف يستجيز عاقل أن يفعله اتّباعاً لـمرضاة الناس مِن غير أجر ولا أجرة. فإذا أوقدتم مِن الـمصابيح ما تيسّر، واشتغل الأولاد بِمَا منـهم كلّ يوم اعتيد وتكـرّر، لـم يقع هنالك شيء مِمّا

(1) محمد بن عبّاد، **الرسائل الكبرى**، ص 280.

يُـحذر أو ينكر، وحصلت لكم الفائدة الـمألوفة ذلك اليوم مِن مجيء الصبيان إليكم وانثيالهم بالتحف والطرف عليكم. ولـم أقل لكم أوقدوا عليكم ألف قنديل حتّى لا يوجد إلى التخلّص من الـمنكر سبيل، ولكن سلكنا طريقاً وسطاً بين التكثير والتقليل – وإلى ما يقارب التقليل أميل. كلّ ذلك ليجتـمع لنا القيام بحقّ الـمَولِد واغتنام الفائد المتجدّد والسلامة مِن المنكر الـمتزيّد – والله تعالى الـموفّق والـمؤيّد. إلّا أن تدعوا رجال متولّي الأمر فيزيلون ذلك المنكر بالضرب والقهر ويدفعون الشرّ بِمَا هو منه أشرّ، فأنتـم أعلم – والأحكام السلطانيّة لا أدخل فيـها.[1]

(2)

رأي ابن عبّاد في مشروعية الـمَولِد عامّة،وذكر العادات المعتادة بها بين الناس في فاس في العهد المريني، وقصة وقعت له يوم الـمَوْلِد مع سيّدي الحاج بن عاشر[2]، ونصيحة خاصّة ليحيى عن تنظيم الِاحتفال يوم العيد في المسجد – وهذا الجزء من الرسالة السابعة.

(وأمّا الـمَوْلِـد،فالذي يظهر لي أنّه عيدٌ مِن أعياد المسلمين ومَوْسِم مِن مواسـمهم، وكلّ ما يفعل فيه مِمَّا يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك الـمَولِد الـمبارك مِن إيقاد الشمع وإمتاع البصر والسمع والتزيّن بلبس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب أمر مباح لا ينكر على أحد قياساً على غيره مِن أوقات الفرح. والحكم بدون هذه الأشياء بدعةً في هذا الوقت الذي ظهر فيه سرّ الوجود وارتفع فيه عَلم الشهود وانقشع بسببه ظلام الكفر والجحود. وادّعاء أنّ هذا الزمان ليس مِن المواسم الـمشروعة لأهل الإيـمان ومقارنة ذلك بالنيروز والمهرجان أمر مستثـقل تشمئـزّ منه القلوب السليـمة وتدفعه الآراء المستقيـمة. ولقد كنتُ هنا، فيـمَا خلا مِن الزمان، خرجتُ في يوم مَولِد إلى ساحل البحر فاتّفق أن وجدتُ هنالك سيّدي الحاجّ بن عاشر – رحمه الله – وجمـاعة مِن أصحابه، وقد أخرج بعضهم طعاماً مـحتفلًا ليأكلوه هنالك. فلمّا قدّموه لذلك أرادوا منّي مشاركتـهم في الأكل وكنتُ إذ ذاك صائـمًا، فقلتُ لهم: «إنّي صائم.» فنظر إليّ سيّدي الحاجّ نظرةً منكرةً وقال لي ما معناه: إنّ هذا اليوم يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصيام بـمنزلة يوم العيد. فتأمّلتُ كلامه فوجدتُه حقًّا وكأنّي

(1) محمد ابن عبّاد،**الرسائل الكبرى**: الرسالة التاسعة، 187 – 188.

(2) هو أحمد بن محمّد بن عاشر الأندلسي ثم السلاوي (764هـ/ 1363م)، شيخُ ابنِ عبّاد في التصوّف. ما سافر ابن عبّاد من سلا حتّى بعد وفاة ابن عاشر. انظر **السلسل العذب** للخضرمي (787هـ/ 1375م).

كنتُ نائـمًا فأيقظني. لكنّ المناكر التي ألفت في العادة مِن اجتماع الرجال والنساء وتزاحمهم وتضامّهم والإصغاء بالسمع وإرسال البصر في المستحسنات المحظورة المسموعة والمنظورة عند تشاغل الولدان بالأذكار والأشعار وقبل أشتـهار ضوء النـهار هي التي تكدّر صفاء هذه الحالة المرضية. وتوجب للمتديّن أن لا يتشاغل بِمَا يوقع في هذه البليّة، وأنْ يسُدّ هذا الباب على نفسه بالكلّيّة. فإذا تركـتـم العمل بذلك لأجل ما يؤوّل إليه من الفساد، لا لأجل كونه بدعة يؤمَر بتركه في كلّ حال مِن الأحوال، كانت نيّتكم فيه صحيحةً، ولا يضرّكم توَسّـم الناس فيكم الصلاح بسبب ذلك، ولا حاجة بكم إلى ذمّ الناس بتقدير رجوعكم إلى الحالة الأولى. وسدّكم للمسجد في ذلك الوقت لا وجه له، مع أنّ ذلك يفوتكم منفعة الأولاد الذين جرت العادة بإدخالهم ذلك اليوم الـمكاتب، لا سيّمَا أولئك الذين يساقون بالبوق والطبل وأنواع الطرب – والشبكة إن لـم ينصبـها صاحبـها للصيد في مظنّة وقوعه فيـها لـم يظفر منه بطائل. ولا بأس بزيادة ضياء في الـمسجد ذلك اليوم المبارك تَفرِقةً بينه وبين غيره مِن الأيّام، وتجعلون فيه أربعة مصابيح أو خمسة أو ستّة أو سبعة أو عشرة، وإن كان ذلك شـمعاً فهو أحسن. ويتشاغل الأولاد إذ ذاك بألواحـهم وأحزابـهم، لا شيء غير ذلك. فإذا استعلى النـهار، فأطلقوا الأولاد وأسلكوا في ذلك مسلك الأعياد. وحُكم ما يعطاكم فيه حكم ما يعطاكم في أعياد المسلمين، إذ لـم يُقصد بذلك غرض فاسد في الدين. وأمّا الحكم بذلك والقضاء به فوظيفة الأمراء والسلاطين، وعليـهم النظر فيـمَا يجوز مِن ذلك وما لا يجوز. فإذا التزمتم هذا كلّه، وانشرحتْ صدوركم له، ولـم تجدوا في أنفسكم رعونة مِن ترك مخالفة الناس فيـمَا اعتادوه، أو ترك موافقتـهم على الطرف الأقصى مِمَّا أرادوه، وطبتـم نفساً عمّا عساه يتحصّل لغيركم مِن متاع الغرور، ويفوتكم مِن ذلك بسبب ما عملتم عليه مِن التجارة التي لا تبور، كانت حالكم صحيحة، ليس فيـها سقم ولا علّة. وهو معيار صادق تـمتحنون به حالكم وتتعرّفون منه صوابكم ومـحالكم – والله تعالى وليّ التوفيق.[1]

(3)

* جواب ابن عبّاد لمن سأل عن الصلاة على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – عقب قراءة الحزب جمـاعةً بلفظ «اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد»وما حكم الشرع بـها؛ **فيشبّ** ابن عبّاد الحكم عليه بحكم الـمَولِد. وفيه ردّ على مَن يقول:«لو كان هذا جائزاً أو مطلوباً لفعله السلف الماضون.» وفي كلامه وصف لحالة الدين في زمانه

(1) محمد ابن عبّاد،**الرسائل الكبرى**: الرسالة السابعة، –180 181.

ودور احتفال بالمولد في الـمجتـمع. وفيه قصّة فقيه مِن فقهاء القيروان – مِن الرسالة السادسة والثلاثين.

* وأما المسألة التي سأل عنـها مِن الصلاة على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – عقب قراءة الحزب جمـاعةً بلفظ «اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد»، فقد كانوا يفعلون ذلك هاهنا، ثـمّ تركوا ذلك وصاروا يستعملون الصلاة التامّة إلى «إنّك حميد مجيد» عشر مرّات غدوةً وعشر مرّات عشيّة، إلّا يوم الجمعة وليلتـها فيقولونـها عشرين عشرين. ولا أدري مَن الذي كان ردّهم إلى ذلك.

والكلام في هذه الـمسألة كالكلام في مسألة المولد التي كنتُ كتبتُ لكم به. فالوجه عندي أن لا يُنكر ولا يُعترض شيء مِن هذا الجنس وأن يعتقد فيه وفي أمثاله الإباحة والتوسعة. ولا يقال فيه إنّه حرام ولا بدعة، إن لـم يصادم ذلك سنّةً ثابتةً، ولـم يؤدّ استعمـاله إلى منكر ولا محظور؛ بل ينبغي أن يكون ذلك مندوباً مطلوباً لقوله تعالى: ﴿**وَافْعَلُوا الْخَيْرَ**﴾ [الحجّ: 77] – وهذا خير.

وقد كنتُ رأيتُ تُؤَيلِفاً من نحو الكُـرّاس، قبل هذا، ألّفه ابن البقّال – ولا أدري أيّ ابن البقّال هو[1] – في هذه النازلة بعينـها، حكم فيـها بالجواز – والله أعلم – واحتجّ على ذلك بحجج. والذي يظهر لي أنّ الدين إذا ذهب، والإيـمـان إذا سُلب، وتـمسّك الناس بشيء مِمّا يظهر أنّه من آثاره، كأمثال هذه المسائل، لـم ينبغ لأحد أن ينكرها فيبقى الناس بلا دين ولا رائـحة دين. ولا ينبغي لِمَن شأنه العلم أن يقاشـح[2] في أمثال هذا. وبـمثل هذا يُـجاب كلُّ مَن يشغّب[3] ويقول: «لو كان هذا جائزاً أو مطلوباً، لفعله السلف الـمـاضون، لأنّ أصول الدين كانت عندهم راسـخة قويّة، وفروعه، كـمَا تلقّونـها عن رسول الله – ﷺ، غضّةً طريّةً. فلـم يحتاجوا إلى استعمـال شيء

(1) كانت عدة من العلماء يعرفون بابن البقّال، فمنهم محمد بن محمد بن عليّ المعروف بابن البقّال، أبو عبد الله (725ه/ 1324م)، وكان من العلماء المحقّقين بفاس، وكان له حظّ وافر من الأدب واللغة والتفسير والعروض والشعر والكتابة، وكان في آخر عمره كثير التلاوة للقرآن. (**سلوة الأنفاس**: ج 2، ص 158–59؛ و**نيل الْابتهاج**: ص 386.) وهناك شخص آخر لقّب ابن البقّال وهو محمد بن عليّ بن البقّال الأنصاري الفاسي (778ه/ 1376م)، أخذ عن والده وأبي العبّاس البنّا. (**سلوة الأنفاس**: ج 3، ص 277؛ و**نيل الْابتهاج**: ص 457.)

(2) قال صاحب القاموس: «وثوب قاشـح: قاسـح؛ والقُشاح – كغُراب: اليابس.» وقال في معني قَسَحَ: «صَلُبَ، وقسح الرجل: كثر إنعاظه، وأَقسَحَ الحبلَ: فتلَه، والقَسَحُ: اليُبسُ أو بقيةُ الإنعاظ ...، وقاسَـحَهُ: يابَسَه، وثوب قاسِـحٌ: غليظ.»(**القاموس المحيط**) مِن هنا استعملت العامّة كلمة «قاشـَحه» إذا خاشنه وجادله بالخشونة.

(3) الشَغب (ويحرّكوقيل لا): تـهييج الشرّ كالتشغيب. (**القاموس المحيط**)

مِن هذه الـمراسم، كـمَا لـم يحتاجوا إلى تدقيق النظر في نوادر الـمسائل الفقهيّة، ولا وضع التواليف والكنانيش فيـها.» فإن فرضنا ذلك بدعةً مذمومةً فهذا أيضاً مثلها. فلأيّ شيء لـم يُنكر هذا وأنكر أمثال ذلك؟

ويجري مجرى ما قلناه مِن الصلاة على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – جماعة وإقامة الـمولِد على الوجه الـمعتاد – إذا سلـم مِن الـمنكر – الدعاء بأثـر الصلاة على حسب ما أَلِفهَ الناس، وكذلك قراءة الحزب بالدائرة، وكذلك اتّخاذ الـمصابيح الكثيرة في الـمساجد في رمضان – لأنّـهم إنّمَا قصدوا بذلك تعظيـمه – لكن إذا سلم ذلك مِن الـمنكر كـمَا قلناه في الـمولِد وغير هذا مِمَّا لـم يحضرني الآن.

وتصريـح ذلك الرجل بأنّ الصلاة على النبيّ – ﷺ – في جمـاعة حرامٌ أمرٌ شنيعٌ. ولعلّ تصريـحه بذلك الكلام أقرب إلى أن يكون حراماً مِمَّا حكم هو عليه بالتحريـم لوجوه: منـها بشاعة هذا اللفظ. وقوله «في جمـاعة» لا يزيل شناعته ولا بشاعته. وأيّ فرق بين جمـاعة يصلّون على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – على لسان واحد متَراسِلين[1] وبين أن يـجتـمع جمـاعة فيصلّي عليه كلّ واحد واحد؟ ومنـها ما تعرّض له بسبب ذلك مِن أذى الناس له، كالذي وقع لذلك الفقيه – أظنّه مِن فقهاء القيروان – فإنّه آذاه عامة الناس إذايةً عظيـمةً بسبب ما سـمعوه مِن قوله «إنّ قراءة القرآن بالدائرة بدعة.» وشنّعوا عليه أنّه يقول: «إنّ قراءة القرآن بدعة.» ولـم يتخلّصْ منـهم وينفلتْ مِن أيديهم إلّا بعد اللّتيّا والّتي. ومنـها – وهو أعظمها – الحكم بالتحريم على شيء مِن غير دليل قاطع. والله تعالى قد حذّرنا مِن ذلك بقوله: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ**﴾ [النحل: 116] وقوله: ﴿**قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾ [يونس: 59].

وما احتجّ به لذلك مِن كونه لـم يكن في السلفِ احتجاجٌ ضعيفٌ. وليس كلّ ما لـم يفعله السلف يحكم بتحريـمه. لعلّ قراءة الحزب بالدائرة أقرب إلى أن ينكرها – كـمـا أنكرها ذلك الفقيه – من هذا لـمـا اعتيد في ذلك مِن تقطيع الحروف واختطاف الكلمـات – والقرآن لا يقرأ إلّا على وجه مخصوص. ليس في الصلاة التي ذكرها مانع – والله تعالى أعلم.[2]

(1) تَراسَلَ الناس في الغناء إذا اجتـمعوا عليه يبتدئ هذا ويمدّ صوته فيضيق عن زمان الإيقاع فيسكت ويأخذ غيره في المدّ الصوت ويرجع الأوّل إلى النغم وهكذا حتّى ينتهي. (**المصباح المنير**)

(2) محمد ابن عبّاد، **الرسائل الكبرى**: الرسالة السادس والثلاثون، 510 – 512.

جواز الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عند أهل السّنة والجماعة ...

إعداد أ. جمعة العكرمي الدرويش

من كلام الشيخ محمّد الطّاهر بن عاشور عن المولد النّبوي الشّريف

قال الشيخ العلامة محمّد الطّاهر بن عاشور في تفسير « التّحرير والتّنوير» :

«فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلْمَوَاقِيتِ الْمَحْدُودَةِ اعْتِبَارًا يُشْبِهُ اعْتِبَارَ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ الْمُتَجَدِّدِ، وَإِنَّمَا هَذَا اعْتِبَارٌ لِلتَّذْكِيرِ بِالْأَيَّامِ الْعَظِيمَةِ الْمِقْدَارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ [إِبْرَاهِيم: 5]، فَخَلَعَ اللَّهُ عَلَى الْمَوَاقِيتِ الَّتِي قَارَنَهَا شَيْءٌ عَظِيمٌ فِي الْفَضْلِ أَنْ جَعَلَ لِتِلْكَ الْمَوَاقِيتِ فَضْلًا مُسْتَمِرًّا تَنْوِيهًا بِكَوْنِهَا تَذْكِرَةً لِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ لِأَجْلِهِ سُنَّةَ الْهَدْيِ فِي الْحَجِّ، لِأَنَّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَلَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ وَأَظْهَرَ عَزْمَ إِبْرَاهِيمَ وَطَاعَتَهُ رَبَّهُ وَمِنْهُ أَخَذَ الْعُلَمَاءُ تَعْظِيمَ الْيَوْمِ الْمُوَافِقِ لِيَوْمِ وِلَادَةِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَجِيءُ مِنْ هَذَا إِكْرَامُ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَبْنَاءِ الصَّالِحِينَ وَتَعْظِيمِ وُلَاةِ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ الْقَائِمِينَ مَقَامَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْمَالِهِمْ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْأَئِمَّةِ .

*** كيف كانت تونس تحتفل بالمولد النبوي الشريف أيام وجود العلماء والصالحين؟**

ذكر العلامة الفقيه ابن أبي دينار في كتابه الممتع «المؤنس في أخبار إفريقية وتونس» مشهدا من المشاهد الرائعة التي كانت عليها تونس بلد العلم والعلماء والصالحين متعلقا بمناسبة المولد النبوي الشريف فقال:

«ومن أعياد أهل تونس المشهورة ومواسمهم المذكورة ومساعيهم المشكورة: تعظيمهم ليلة المولد الشريف، وذلك لأجل محبّتهم لمن ولد فيه وهو سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم.

وأول من اعتنى بتعظيمه في البلاد العربية وأظهر فيه شعائر الولادة المحمدية السلطان أبو عنان المريني شكر الله سعيه، ثم اقتدى به بنو أبي حفص في الديار التونسية، وأولهم أمير المؤمنين أبو فارس عبد العزيز، وكان في أول المئة الثامنة، واحتفل بتشييد شعائر هذا اليوم المبارك، جعل الله ثوابه في صحائفه، وأظله في ظل النجاة يوم لا ظل إلا ظل عرشه.

واقتدت به بنو أبي حفص من بعده، ولم تزل عادتهم مستمرة على تعظيمه عاملهم الله بنياتهم، فإنهم يعظمون ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وينشدون الأشعار في المكاتب ويحتفلون لتلك الليلة ويزينون المكاتب ويجعلون أماكن تقرأ فيها التخاميس وتنشد الأبيات الشعرية التي تضمنت مدائح خير البرية، وتوقد القناديل، وتسرج الشموع، وتكون تلك الليلة أشهر ليالي سنتهم، ويصنعون الأطعمة الفاخرة احتسابا لله، وتكون ليلة عظمى بدار نقيب الأشراف يحضرها الأجلة من الناس والقراء والفقهاء، ويقع فيها السماع والأناشيد بالمدائح النبوية، ويهرع الناس إليها من أطراف البلد. (راجع المؤنس، ص 290)

فتاوى السادة الأعلام بجواز الاحتفال بمولد خير الأنام عليه الصلاة والسلام

سُئِلَ الإمام محمد بن أبى إسحاق بن عباد النفزي عما يقع في مولد النبي ﷺ من وقود الشمع وغير ذلك لأجل الفرح والسرور بمولده عليه السلام فأجاب: «الذي يظهر أنه عيد من أعياد المسلمين، وموسم من مواسمهم، وكل ما يقتضيه الفرح والسرور بذلك المولد المبارك، من إيقاد الشمع وإمتاع البصر، وتنزه السمع والنظر، والتزين بما حسن من الثياب، وركوب فاره الدواب؛ أمر مباح لا ينكر قياساً على غيره من أوقات الفرح، والحكم بأن هذه الأشياء لا تسلم من بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سر الوجود، وارتفع فيه علم العهود، وتقشع بسببه ظلام

الكفر والجحود، يُنْكَر على قائله، لأنه مَقْتٌ وجحود. وادعاء أن هذا الزمان ليس من المواسم المشروعة لأهل الإيمان، ومقارنة ذلك بالنيروز والمهرجان، أمر مستثقل تشمئز منه النفوس السليمة، وترده الآراء السقيمة»

قال الشيخ الزيتوني **الحبيب المستاوي** رحمات الله تعالى عليه:

« فإذا هفت أرواح المؤمنين إلى تنسم عبير الهدي المحمدي من أردان أول الربيعين من كل سنة فلأن ذلك اليوم يعتبر لديهم يوم الخلق الحقيقي أو يوم الاكتشاف لأنفسهم».

«... وهو اليوم الذي أقيمت فيه على الإ نسان الحجة المبكتة بما جمع بين يديه من أجوبة عن كل سؤال وأدوية لكل علة وحلول لكل معضلة».

«... تلك الرحمة التي أجلت إلى الابد عن هذا الكون والكائن مظاهر المسخ والابادة الجماعية مما كان يتهدد آية أمة عتت عن أمر ربها واتخذت آياته ورسله هزؤا».

«إنّ ذلك اليوم الذي ولد فيه سيد الكائنات عليه الصلاة والسلام هو اشرف أيام الدهر وهو اليوم الحقيقي لميلاد الإنسانية المثلى والفضائل الخالدة والأنوار المشعة وهو بحق يوم الرحمة الشاملة.

منقول من صفحته نجله فضيلة الشيخ صلاح الدين المستاوي شكر الله تعالى له وأدام النفع به

* «إذا كانتِ الأعيادُ الثّابتةُ في الدّين قد جاءت على أسبابٍ مشروعة، فذكرى الواسطةِ العظمى في تبليغ ذلك يحقّ أن تكونَ مَشيدةٌ مرفوعة»

«وكم مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ حَفَّ بهذه البلاد.. لعَلَّهُ مِنْ بَرَكاتِ هَذَا الاعْتِناء».

شيخ الإسلام محمد الطاهر بن عاشور (قصة المولد)

كيف تحل بيننا ذكرى مرور 1500 سنة على مولد رسول الله ﷺ ولا نوليها ما تستحق من الاهتمام ؟!

بقي اقل من شهر على حلول شهر ربيع الأول شهر مولد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لعام 1447 هـ والذي درجت الأمة الإسلامية على الاحتفال به واعتباره مناسبة تجدد فيها العهد مع من أرسله الله رحمة للعالمين وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور.

مناسبة تحييها الأمة (إلاّ من أبوا واعتبروها بدعة وما اكبرها من كلمة تنطق بها ألسنتهم) مسوين بين البدعة التي هي ضلالة وبين السنة الحسنة التي لمن سنها أجرها وأجر من عمل بها وهؤلاء أقل ما يقال فيهم انهم خالفوا ما يكاد الإجماع يكون حاصلا على جوازه واستحبا به وفي الحديث (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) وهل هنالك احسن من الفرحة برسول الله ﷺ؟ وهل هنالك أفضل من مولده مناسبة للفرحة به ؟

* ذكرى المولد النبوي الشريف لهذا العام تستحق أن تكون استثنائية ومتميزة لانها تصادف ذكرى مرور 1500 سنة على ميلاده عليه الصلاة والسلام

واني لا عجب شديد العجب واستغرب شديد الاستغراب كيف أنّ الجهات المعنية بالشان الديني والثقافي على امتداد العالمين العربي والإسلامي تغفل عن إعطاء هذه الذكرى وهذا التاريخ (مرور1500 سنة) على ميلاده رسول الله ﷺ

ما تستحق ودون أن تجعل هذه السنة على طولها مناسبة لاحتفالات نعم كل ديار الإسلام مشرقا ومغربا بل وخارجهما للتعريف بسيّد الكائنات الإنسان الكامل الأسوة والقدوة رسول الهدى والرحمة للناس كافة ﷺ

* حقيقة إنها لمناسبة ثمينة لا تتكرر ينبغي على المسلمين على كل الأصعدة والمستويات ان يبادروا قبل رحيل هذا العام الهجري بوضع برامج متنوعة لعرض سيرة وشمائل وفضائل ومكارم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من هدي قويم وما تركه ومالا يزال يتركه هديه وما دعا إليه وما جاء به في حياة الناس من اثر هو بكل المقاييس لا يمكن مقارنته بما تركه من جاؤوا قبله من الأنبياء والرسل عليهم السلام ومن جاؤوا بعده من المصلحين والزعماء

* مرور 1500 سنة على مولد رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا ينبغي أن تمر هكذا احتفالية عادية كاحتفاليات كل سنة بالمولد النبوي

في المثل يقال (لم يفت أبدا ما دام يمكن التلافي)

فليكن احتفال هذا العام1447هـ/ 2025 منطلقا لاحتفال عالمي دولي برسول الله ﷺ يمتدّ إلى مثل هذا الموعد من العام القادم

* أمامنا متسع من الوقت كي نتلافى ما فاتنا ولنضع من البرامج الثقافية والعلمية والإعلامية لكي نعرف اكثر وأوسع وافضل واجمل بكمالات رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دعا لكل فضيلة ولكل مصلحة وحذر ونهى عن كل شر وضرر وفساد دعا وجسم كل ما دعا إليه بسيرته وسلوكه فكان إسلاما يمشي على الأرض وتلك هي أبلغ دعوة للإسلام

* هذه خواطر أولية أوحى بها إلى مرور1500 سنة لميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تحل بيننا بعد أقل من شهر.

كتبه م. ص.م ونشر في جريدة الصريح الإلكتروني

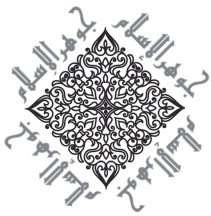

مجلات إسلامية لا تنسى : جوهر الإسلام

بقلم الدكتور علي العريبي

لم تظهر بعد اختفاء المجلة الزيتونية في سنة 1955 أية مجلة إسلامية، إذا استثنينا العدد الأول من مجلة المعرفة الذي صدر سنة 1961 / 1380،

فقد أصدر في ربيع الأول 1388 هـ/ 1968 م) الشيخ الحبيب المستاوي – رحمه الله – مجلة جوهر الإسلام بمجهوده الخاص، إسهاما منه في شرف الدعوة إلى الحق، مع ان إدراكه بأن الدعوة إلى الله في عصر اختلطت فيه السبل، وتشعبت المسالك، وطغت الاعتبارات المادية على كل ما سواها لا تثمر إلا متى أرجعت إلى أصلها، الذي منه انطلقت، وعليه ارتكزت، أي السير على منوال الداعية الأول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي اعتمد في رسالته الإيمان الصامد، والثقة الوطيدة، والأسلوب الواضح الرصين، وتريد الجوهر ان تسير على هديه، فلا تستهدف إلا نصرة الحق، ورد مفتريات المرجفين، ودعاوى المبطلين وغايتها انفتاح البصائر، واستيقاظ الضمائر، حتى تسمو إلى إدراك الجوهر الإسلامي النقي.

وفي رأي المستاوي أن الإسلام حقق المعجزة بالأمس في أمة توغلت في الجهالة، وأمعنت في الشقاق، واختلت عندها موازين القيم، فكيف لا يحققها اليوم في عالم تقدمت به وسائله العلمية والمادية، حتى أصبح يشكو من ذلك ذبذبة وحيرة، وفراغا روحيا مهولا

ويعيب المستاوي على المسلمين تنكبهم جادة الصواب، وزيغهم عن القصد، واستبدالهم الأدنى بالذي هو خير، فأدى بهم ذلك إلى الانحطاط والتقهقر

وبما أن الإسلام دين الفطرة السليمة، فلا يكلف الداعين إليه بشيء، سوى إزاحة الحجب عن حقائقه وأسراره، لترى العيون محياه الصبوح من غير نقاب، ثم ليقولوا بعد ذلك إن شاؤوا: ﴿ومن اهتدى فَإِنْمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنمَا يَضِلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ يونس:108

يبدو ان الشيخ المستاوي يعتقد أن نجاح الداعية الذي هو القدوة الحسنة لا يكون إلا في الانقطاع للغاية التي انتدب إليها، والابتعاد عن كل إسفاف رخيص، وكل إسفاف من هذا النوع هو بداية الانحراف عن المهيع القويم، والتناقض مع مرامي الإسلام البعيدة الأهداف، حتى أصيب الإسلام بما أصيب به أهله من تراجع وتقلص.

ويؤكد الشيخ المستاوي أن الإسلام فيه شفاء لكل علة حرون، إذ هو الجديد المتجدد، والينبوع المنفجر، والمتصف بالشمول والمرونة، يهضم كل فن، ويسع كل حضارة، ويتفاعل مع كل علم، ويسبق كل علم في اكتشافاته العلمية، كما يذهب إلى ذلك صاحب الجوهر.

وهكذا ولجت (**جوهر الإسلام**) باب الدعوة، متوخية التؤدة والموضوعية، إذ ليس في الإسلام علامة ضعف، ولا مركب شذوذ، حتى تعمد إلى تغطيته بالجلبة والتحمس، أو تأسف على افتضاحه وهتك أسراره.

ويوضح المستاوي الدافع الذي حمله على إصدار الجوهر، وهو الشعور الديني والميل إلى إيصال الحقيقة إلى كل نفس متعطشة إليها، وبما أنه يرمي إلى بث هذه الحقيقة ونشرها على أوسع نطاق، فقد خصص في (**جوهر الإسلام**) صفحات للبحوث والدراسات باللسان الفرنسي تعالج قضايا الإسلام، وتنير سبيل هدايته على غرار مجلة شمس الإسلام للشيخ محمد الصالح بن مراد(وكان يشرف على القسم الفرنسي بمجلة جوهر الإسلام الصيدلي صلاح الدين كشريد، صاحب كتاب ترجمة معاني القرآن الكريم).

واتخذ صاحب الجوهر الآية التالية شعارا لمجلته: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران: 104).

ويبدو أن (**جوهر الإسلام**) كانت في مرحلتها الأولى ناطقة بلسان حال الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، فهي تنشر أبحاث ودراسات أساتذتها، وخاصة بحوث عميدها محمد الفاضل ابن عاشور[1] الذي خصصت له عددا بمناسبة وفاته، شارك في تحريرها بعض أساتذة هذه الكلية مثل عبد الله الوصيف والحبيب ابن الخوجة وغيرهما.

وبعد مرور عام على وفاة العميد المذكور نوهت الجوهر بخصاله فقالت في افتتاحيتها: «لقد كانت مجلة **جوهر الإسلام** وأسرتها ممن أسعدهم الحظ، وشرفهم القدر بصحبة هذا العلم، والاستفادة من علمه وعقله، والتنويه بروحانيته الشفافة اللطيفة، فلا غرو أن تكون هذه الأسرة فاضلية النزعة والهدف والأسلوب، لأن معين الارتواء واحد، وإن اختلف المتضلعون منه حسب الأوعية والاستعداد»[2].

إذن **فجوهر الإسلام** فاضلية النزعة والهدف والأسلوب، وإذا كانت كذلك فلا غرو أن تدعو إلى **إحياء الجامعة الزيتونية**، وعودة الجامع الأعظم إلى سالف نشاطه التربوي والديني، وإنشاء كتاتيب قرآنية، وصبغ التعليم العام بالروح الدينية، وتأسيس مجلس للعلماء، وتكوين دعاة يعملون على غرس القيم الدينية في نفوس الشباب، وأن تخدم وسائل الإعلام الغايات الأخلاقية والدينية والوطنية، وأن تكون لغة الإدارة هي اللغة العربية، وهي مطالب يرنو إليها الشعب التونسي منذ حصوله على الاستقلال[3].

---

(1) محمد الفاضل ابن عاشور (توفي 1990/ 1970) من أشهر علماء تونس في القرن الرابع عشر، تولى في عهد الاستقلال خطة مفتي الجمهورية، من مؤلفاته الحركة الأدبية والفكرية في تونس

(2) 3) جوهر الإسلام س 3 ع7و8 ربيع الثاني 1393 / ماي 1973 يشير الشيخ الشاذلي النيفر في حفل تابين المستاوي إلى «انه بمجرد ما تم الاجتماع بمكتب العلامة المرحوم الشيخ محمد الفاضل بن عاشور لايجاد مجلة إسلامية حتى بادر إلى انشاء مجلة جوهر الإسلام» جوهر الإسلام س8 ع1 س 1975/ 1395 ص13

(3) محمد الصائح بن مراد (توفي في 1978/ 1399) شيخ الإسلام، ولاه هذه الخطة محمد

وطالب صاحب الجوهر بوصفه عضوا في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الدستوري بمراجعة مجلة الأحوال الشخصية، وتحوير بعض الفصول التي تضمنتها هذه المجلة التي انفردت بها تونس دون سواها من بقية الشعوب العربية والإسلامية، ولكنه لم يذكر هذه الفصول، ولعله يشير إلى المواد التي تتعلق بالزواج والطلاق، وتعدد الزوجات.

ولعل هذه المجاهرة برأيه في الدعوة والإصلاح هي التي أقصته من التعليم بالكلية الزيتونية، والتعجيل بنقلته إلى المعهد الثانوي بقفصة، كما سنرى بعد حين.

لم تكن جوهر الإسلام إذن بمعزل عن قضايا المسلم المعاصر» فلقد واكبت المجلة أحداث العالم الإسلامي وتطوراته، والتزمت التعريف بقضايا المسلمين من فلسطين إلى اريتريا، والدفاع عن القيم الإسلامية، وإذاعتها في العالمين (5).

ويعتبر الشيخ المستاوي مجلته **جوهر الإسلام** نقطة التقاء للكثير من العبقريات الإسلامية شرقية وغربية، وبالفعل التف حولها مجموعة من الكتاب والمفكرين من داخل تونس وخارجها، يمدونها بأبحاثهم ومقالاتهم في كل شهر، وهم يرون مع صاحب الجوهر « أن أي تقدم واستقرار وقوة لا يحصل إلا متى رجع المسلمون إلى أصول حضارتهم المتمثلة في اللغة والدين، وبنوا على تلك الأسس غدهم السعيد». وفعلا كانت **جوهر الإسلام** منبرا للكثير من علماء الإسلام، لم يكن ليتسنى لهم هذا الاجتماع لو لم يكن هذا الجهد المبذول من قبل صاحب الجوهر التي كانت تسميتها حسب أنو الجندي (7) عنوانا على فهم عميق، وإحساس بالتحدي الخطير الذي يواجه المسلمون»).

ويبدو أن المجلة بدأت مسالمة مهادنة، ثم « أصبحت لسانا صادقا من ألسنة الحق، وسيفا من سيوف الإسلام، يذب عنه تدافع هجمات الأعداء، وتدحض مفترياتهم وشبههم» ٥.

وانعكس هذا التطور على سير المجلة، فأصبحت مرتبكة في الصدور، خاصة بعد أن تمت نقلة صاحبها من تونس العاصمة إلى مدينة قفصة.

المنصف باي. ثم عزلته السلط الاستعمارية، أصدر شمس الإسلام ظهر منها ثمانية أعداد فقط

وقد أشارت افتتاحية العدد الخاص بتأبين المرحوم الحبيب المستاوي إلى العراقيل التي واجهها للقيام بواجب الدعوة والإرشاد، إلا أنها لم توضح كنهها، فقد ظل – كما جاء في هذه الافتتاحية – يغالب المصاعب والشدائد، ويصارع العواصف الهوجاء، ثابتا أمامها ثبوت الرواسي، شامخا شموخ الطود، وآزرته في جهاده قلة مؤمنة، صبرت وصابرت، فما وهنت، وما استكانت، بل واصلت معه هذا العمل الكبير، معرفة بمنهج الإسلام في الاقتصاد والاجتماع، وفي تنظيم الأفراد والجماعات، مبينة علاقة المسلمين ببعضهم البعض، وعلاقتهم بسواهم من الأمم والشعوب، معرفة بالأقليات المسلمة في العالم.[1]

فمن هو صاحب هذه الجهود كلها؟

الشيخ الحبيب المستاوي (1923 ـ 1975) من مواليد بلدة الرقبة من تطاوين بالجنوب التونسي، حفظ القرآن بمسقط رأسه، ثم التحق بجامع الزيتونة، وتخرج منه سنة 1371/ 1951 فباشر التدريس بالفرع الزيتوني بمدنين، ثم نقل إلى فرع قفصة، إثر قيامه بنشاط دعوي ووطني ، لم يرق للسلطة آنذاك.

سافر إلى ليبيا للتدريس والإرشاد، فأعد إلى جانب عمله الرسمي حصصا دينية بالإذاعة الليبية، ثم عاد إلى تونس، وانتدب للتدريس بالكلية الزيتونية، شعبة الوعظ والإرشاد، فبقي بها إلى أن تمت نقلته إلى مدينة قفصة نقلة عقاب، وذلك لمواقفه الجريئة، وهو من الذين يرون أنه يمكن الإصلاح من داخل الحزب الحاكم، فأشار على شباب الحركة الإسلامية، وهو العضو باللجنة المركزية للحزب الاشتراكي

(1) انظر مقترحات المستاوي إلى اللجنة العليا للحزب، جوهر الإسلام س2 ع 10 ربيع الاول 1390 جوان 1970 ص 55

(5) راجع تأبين الشاذلي النيفر للمستاوي جوهر ... س8 ع1، 1975/ 1395 ص 13

(6) انظر ن. م

(7) انظر مقترحات المستاوي إلى اللجنة العليا للحزب، جوهر الإسلام س2 ع 10 ربيع الاول 1390 جوان 1970 ص55

(8) أنور الجندي (توفي 2002 / 1422) مفكر إسلامي مصري، له عشرات الكتب في الدين والادب والسياسة، منها آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب، والإسلام في مواجهة الفكر الوافد...

(9) انظر احفظوا المصباح . جوهر .....س8 ع1 . 1975/ 1395 ص 33

الدستوري، أن ينخرطوا في الحزب، وأن يعملوا ضمن صفوفه ليتسنى لهم الإصلاح والتغيير [1].

ترك الشيخ الحبيب المستاوي آثارا علمية منها تفسيره لعدة أجزاء من القرآن نشرها في الجوهر، إلى جانب افتتاحيات المجلدات السبعة التي صدرت في حياته، كما ترك أشعارا دينية، وأحاديث ألقاها بالإذاعة التونسية وغيرها.

وواضح أن **جوهر الإسلام** سدت فراغا، كان يشعر به القراء منذ اختفاء المجلة الزيتونية، فعبرت عن أمانيهم، وأروت تعطشهم لمسائل دينهم، وصورت جهاد رجل أعطى من عقله وماله وجهده الشيء الكثير، لفائدة الدعوة الإسلامية في تونس، التي كان من أبرز روادها، عن طريق المنبر والإذاعة والمحاضرات، ثم المجلة التي عرفت القراء بحقائق دينهم بصورة جلية وواضحة، وكشف عن التحديات التي تواجههم، ولعل جوهر الإسلام هي أكثر المجلات شهرة في المشرق العربي، إذ جمعت عددا كبيرا من كتاب الفكرة الإسلامية من كافة الأقطار التي تدين بالإسلام، هذا بالإضافة إلى نخبة من مدرسي الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين الذين عززوا هيئة تحرير المجلة، خاصة بعد وفاة مؤسسها، وقد واصل ابنه محمد صلاح الدين المستاوي إصدار الجوهر حتى سنة 1986 [1] وككل صاحب رسالة، وخاصة من يضطلع بالدعوة إلى مبادئ الإسلام التي يخاف منها العلمانيون، تعرض الشيخ المستاوي رحمه اله إلى مصاعب جمة، عقابا له لمناداته بالعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية، وبنصوصها المحكمة[2].

(1) تواصل الصدور إلى اليوم.

(2) نصّ مقال نشرته مجلة الهداية العدد 209 ربيع الأول 1441 هـ / أكتوبر 2019.

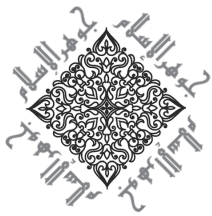

في وداع شيخ الجمال الخلقي والسماحة فضيلة الشيخ جمال الدين القادري البودشيشي رحمه اللّه

شيّعت الطريقة القادرية البودشيشية شيخها جمال الدين القادري البودشيشي رحمه الله يوم الأحد 9 أوت 2025 إلى مثواه الأخير في مداغ بإقليم بركان من جهة وجدة بالمنطقة الشرقية من المغرب الأقصى، حيث الزاوية القادرية البودشيشية التي تعد اليوم من أكبر الزوايا في المغرب وينتشر أتباعها في كل مناطق المغرب وخارج المغرب.

والشيخ جمال الدين القادري هو ابن الشيخ حمزة رحمهما الله الذي شهدت الطريقة في عهده انتشارا وازدهارا كبيرين، حيث توسّع إشعاعها الروحي وبلغ أوجه بفضل ما كان يتمتع به الشيخ حمزة من جاذبية وقوة روحية، فقد انتشرت الطريقة في كل القارات من مختلف الطبقات وفي المغرب وخارجه حتى غدت مداغ مقصدا لطلاب السكينة والطمأنينة والراحة النفسية يشدون إليها الرحال إلى الشيخ حمزة في المواسم الدينية أين تنعقد مجالس الذكر والسماع الذي برعت فيه الطريقة القادرية البودشيشية، وتعددت أفواج فرقها في كل جهات المغرب وخارجه.

موعد سنوي

ويعدّ المولد النبوي الشريف موعدا سنويا عالميا في مداغ للقاء شيخ الطريقة والاستلهام من أنواره وأسراره ظل ذلك الموعد السنوي تأتيه جموع القادرية البودشيشية.

ملتقى عالمي

ومنذ سنوات اضيف إلى الاحتفال السنوي بالمولد النبوي تنظيم ملتقى عالمي للتصوف يدعى لحضوره ليس فقط الباحثون والدارسون القادرية البودشيشية من أساتذة الجامعات المغربية، بل يُدعى للمشاركة في هذا الملتقى الصوفي الكبير علماء ومفكرون من كل أنحاء العالم، وتصحب الملتقى مجالس ذكر وإنشاد وسماع متميز يفسح فيه المجال لكل جماعات الإنشاد القادري البودشيشي..

وتنتظم طيلة أيام الملتقى معارض ذات صبغة تجارية وفلاحية، هي عبارة عن أسواق يجد فيها الجميع ما يبتغون ويجمعون بين الحسنيين كما تنتظم أوراش للبيئة والإعلام السمعي والبصري المحلي والدولي وسط حضور ملحوظ.

زخم وتنوّع

وقد أدخلت الطريقة القادرية البودشيشية كل هذا الزخم والتنوع في حياة الشيخ حمزة رحمه الله وظل يرعاه ويتولى تنفيذ مختلف مظاهره ابنه ومن خلفه في مشيخة الطريقة سيدي **جمال الدين القادري البودشيشي رحمه الله** والذي كتب له وصية خلافته والده الشيخ حمزة رحمه الله منذ التسعينات من القرن الماضي وتليت بعد وفاته، تضمنت أيضا أن يكون الدكتور مولاي منير القادري هو من يخلف الشيخ جمال الذي انتقل إلى جوار ربه بعد أن قضى الفترة الماضية يعالج في المستشفى العسكري بالرباط، بناء على توجيهات من الملك محمد السادس الذي تحظى لديه الطريقة القادرية البودشيشية بصفة خاصة والتصوف والزوايا بصفة بعناية ودعم كبيرين في إطار تنظيم الشأن الديني بخصوصياته المغربية الأشعرية المالكية الجنيدية...

علما وأن كبار المسؤولين في الحفل الديني والفكري حاليا هم من أتباع الطريقة القادرية البودشيشية، ومن تلاميذ الشيخ حمزة رحمه الله نذكر من هؤلاء وزير الأوقاف الدكتور احمد التوفيق ومدير الشؤون الإسلامية الدكتور أحمد قسطاس ورئيس الرابطة المحمدية للعلماء الدكتور أحمد العبادي والدكتور فوزي الصقلي، رئيس مهرجان فاس الصوفي العالمي فضلا عن آخرين في مراكز علمية رفيعة من أمثال الفيلسوف طه عبد الرحمان.

الامتداد الهادئ

إن الطريقة القادرية البودشيشية وهي تودع الشيخ جمال الدين القادري البودشيشي إلى مثواه الأخير، والذي مثّل الامتداد الهادىء الجميل لنهج والده الشيخ حمزة رحمهما الله.. فالشيخ جمال هو شيخ الجمال الخلقي والسماحة التي تبدو في كل شيء منه (في كلماته وإشراقة محياه وفي لطفه وعطفه على أبناء الطريقة)

إن الشيخ جمال رحمه الله يمثل الحلقة الوسطى التي يمتد بها السند القادري البودشيشي على أحسن الوجوه وأتّمها، وقد سلم الأمانة لخلفه سيدي منير القادري المعد لها في نفس الوصية التي تركها الشيخ حمزة، والتي تولى بمقتضاها الشيخ جمال مشيخة الطريقة وقام بها أحسن قيام رحمه الله وأجزل مثوبته... جعل الله الشيخ مولاي منير القادري البودشيشي خير خلف لخير سلف، واجرى الله على يديه للطريقة والزاوية القادرية البودشيشية المزيد من الاشعاع والانتشار انه سبحانه وتعالى سميع مجيب...

كتبه محمد صلاح الدين المستاوي

ونشر في جريدة الصريح الالكترونية

كتاب الفكر الإسلامي
تأليف المفكر الهندي وحيد الدين خان

ترجمة د. ايمن عبد الحليم مراجعة أ.د إبراهيم محمد إبراهيم

في ما يزيد على 280 صفحة من الحجم الكبير نشر مركز نماء للبحوث والدراسات. كتاب المنهج الرباني في الدعوة إلى الله تأليف وحيد الدين خان طبعة ثانية بتونس2025 تولى تقديم الكتاب الدكتور طارق بن ساسي الذي تفضل بتقديمه مشكورا هدية لقراء «جوهر الإسلام» مع هذا العدد1/ 2 س24 ويقع الكتاب في 148 صفحة .

اطلالة غرّاء على هذا الكتاب النفيس الذي يجهله مُعظم القرّاء:
من أوراق ومذكرات الامام محمد الخضر حسين

بقلم : الأستاذ صالح العود

أخرجتُ من مكتبتي الكائنة في باريس، كتاب : (**من أوراق ومذكّرات الإمام محمد الخضر حسين**) طبع دمشق سنة (1414 – 1994م)، من إعداد المحامي الأستاذ علي الرضا الحسيني.. وقد أهداني نسخة منه بعثها إليّ في مقرّ إقامتي الدائمة.

إن هذا (الكتاب) الجليل، كنز لا يُقدّر بثمن معلوم، لأنه جمع شتات ما كان مدفونا في «إضبارات وشتات محفوظات» العلامة الخضر رحمه الله، ولولاه لذهبتْ مع الأيام وبقية الأعوام. وإليك ما قاله الأستاذ في ذلك من تقديمه (ص 5) :

«لما باشرتُ في جمع أوراقه ورسائله، لم أعثر بادئ ذي بدء إلا على وريقات متناثرة بين كتب ومخطوطات العم المرحوم محمد المكي بن الحسين في تونس، وسعدت بها سعادة الظامئ وقد ابتلت شفتاه بقطرات من الماء الفرات، وقلت: حمداً لله على نعمائه، وفرزتها في مغلف خاص منتظراً المزيد منها». اه

ثم إنّ بها علما يُنتفع به، ويُستفاد منه مما خطّه الأجلاّء من العلماء والفضلاء في تلك «المكاتب» الرائقة.

ثم إن هذا العمل الهام، قام به أحد أفراد الأسرة المقرّبين، بل المعتنين غاية الاعتناء بـ«تراث» عمّه هذا، ولولاه لما ظهر منه إلا اليسير، وفي ذلك كتبتُ منوّها ومشيرا إلى أهمّية ما قام به: «... ترك الشيخ الخضر بعد وفاته، ثروة ضخمة : من الثقافة العلمية الإسلاميّة، تمثلت في (مقالاته) الكثيرة، و(كُتُبِه) الوفيرة، و(محاضراتِه) الغزيرة، وقد هيّأ الله لهذا التراث الغالي، وتلك البحوث المستفيضة، والدراسات النفيسة، ابن أخيه الفاضل : فجمع شتات مقالات عمّه، وأعاد طباعة كُتبه، فأسدى للعلم والعلماء، خدمة جُلّى لن تنسى ؛ فما أعظمه من وفاء قلّ نظيرُه في زماننا».

وقد حوى الكتابُ مجموعُه من الرسائل المتداوَلَة، بين الشيخ الخِضْر وعِلِيَة القوم في زمانه : (45) ؛ ومما يلاحظ أو يلفتُ الانتباه، أنّ أغزر ما كان بينه وبين العلامة الامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله، وعددها : (15 رسالة)؛ يلي ذلك في المرتبة الثانية، ما جاءت بينه وبين عمّه الأديب الأريب، والعالم النحرير : الشيخ محمد المكي بن الحسين رحمه الله، فوصلتْ إلى (13) رسالة، وما تبقى فهو منثور بينه وبين أعلام عصره، رحمهم الله تعالى رحمة الأبرار، وأسكنهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

تبقى كلمة أخيرة، وهي : ما الفائدة المرجُوّة من هذه الرسائل التي عني بجمعها الأستاذ علي الرضا، ثم تولى تحقيقها ونشرها على نفقته، فقد أجاب بنفسه عن هذا التساؤل في ثنايا تقديمه، فكتب ما يلي : «توخينا من نشرها على الناس : الفائدة العلمية، التي يتطلع إليها : الفقيه، والمؤرخ، والأديب، والباحث، والدارس، وفيها أسماء كتب، وتواريخ حوادث، وأحداث، وأخبار، وأعلام، لها نفع كبير في إصدارها ضمن كتاب». اه/ ص 6.

من علم المحاضر في بلاد شنقيط

بقلم الشيخ محمد بن سيّد أحمد صلاحي

يطيب لي في البداية أن أحيي جمهور قراء مجلة جوهر الإسلام المعروفة عالميا بنشرها لكل ما يفيد ويهم المسلم كما نشكر الشيخ صلاح الدين المستاوي على جهوده الموفقة في قفو والده رحمه الله

(بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم)

وبما أن هذه المجلة هدفها الأول هو نشر العلم وتفقيه الناس أحببت أن أشارك في هذا الخير وارتوي من هذا البحر الزاخر

ونظر لأني أشارك معكم من الجمهورية الإسلامية الموريتانية بلاد (شنقيط) وقد عرف هذا البلد بمحاضره العريقة والعتيقة وكان لهم منهجهم الخاص حيث يحفظون كل شاردة وواردة في الأنظام فهي وعاؤهم لحفظ هذا العلم لأنها يسهل حفظها وقد اخترت نظما للعلامة محمد الخضر بن ما يابى الشنقيطي الجكني:

حضرت مجلس إمام النصحا ... ماء العيون بعد أن صلى الضحا
يحدث الناس بدين أحمد ... يقول وهو جالس في المسجد
إن التقى وهو اعز ماطلب ... ذو همة ياتي على خمس رتب
تقى يخلص من الخلود ... هو اتقاء الشرك للمعبود
وما يخلص من الجحيم ... هو اتقاء الزلل العظيم
وما ينجي من عذاب المسلم ... في قبره هو اتقاء اللمم
وما ينجي من مصائب الدنا ... هو اتقاء الشبهات والخنا
وما به تجتلب الافراح ... هو اتقاء بعض ما يباح
فملت مصغيا لما حكاه ... وصافحت يدي يداه
أعاده علي حتى اكتملا ... حديثه كما حكاه أولا.

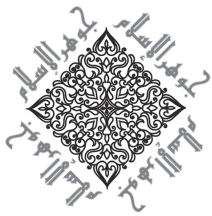

دعوة إلى تأسيس مقْرءات للقرآن الكريم تبث إذاعيا وتلفزيا

فضيلة الشيخ عثمان الأنداري

اقترح على شيوخنا من قراء القرآن الكريم ان ينظموا حلقة تجتمع فيها نخبة منهم يوكل تسييرها والإشراف عليها إلى عميد القراء فضيلة الشيخ عثمان الأنداري حفظه الله وهو المتصل سنده باعلام القراء الذين أدركهم من أمثال الشيخين محمد الهادي بلحاج وعثمان العياري رحمهما الله وهو أي الشيخ عثمان الأنداري من تخرج على يديه من يتصدرون المشهد في مجال الإملاء والتحفيظ.

ويختار الشيخ الأنداري ثلة من الشيوخ القراء (حوالي عشرة) من مختلف الأعمار يجلسون عن يمينه وشماله ويمكن تصوير المجلس ويتولون القراءة بالتداول فيما بينهم ما تيسر في حصة لا تتجاوز 30 دقيقة.

تصور وتبث في حصة تعلم المشاهدين والمستمعين التلاوة الصحيحة حسب القراءة السائدة في بلادنا ونحفظ بذلك النمط التونسي في التلاوة والترتيل والتي توشك أن تنقرض.

وبالمناسبة كنت سألت الشيخ عثمان الأنداري قبل سنوات لماذا لا نراك في حلقة القرآن في المغارة الشاذلية كل يوم جمعة، أفي هذه الحلقة مخالفات للقراءة الصحيحة؟ قال لي: لا

قلت له: إن وجود أمثالك فيها يشجع على ارتيادها وان كان فيها أخطاء أنت أولى من يصوبها فعسى ان تجد فكرة تأسيس مقرءات تونسية للقرآن يتم تسجيلها وبثها إذاعيا وتلفزيا وبالوسائط الإلكترونية على غرار ما يفعله أشقاؤنا في المغرب والجزائر ومصر .

وتونس كانت دائما منارة للقران ولكل علوم الدين أليست بلاد القيروان عاصمة الإسلام الأولى في الغرب الإسلامي؟ أليست بلاد الزيتونة اقدم جامعة في العالم الإسلامي بل في العالم؟

فكرة أرجو أن تجد صدى وقبولا من شيوخنا المقرئين وعلى رأسهم شيخ القراء عثمان الأنداري حفظه الله ولدى إذاعاتنا وتلفزاتنا العمومية والخاصة.

كتبه م.ص.م

ونشر في جريدة الصريح الالكترونية

من مؤلفات

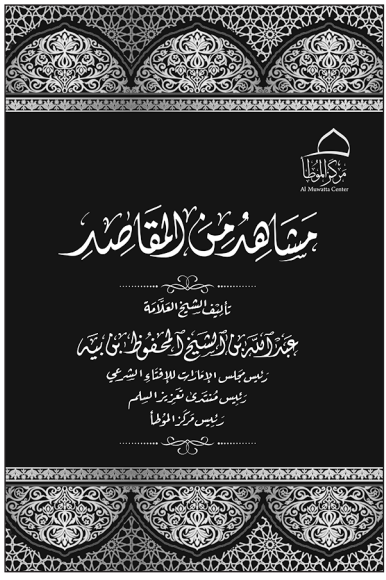

العلامة الشيخ عبد الله بن بية

رئيس منتدى أبو ظبي للسلام

-صناعة الفتوى وفقه الأقليات
- تنبيه المراجع على تأصيل فقه المقاصد
- مشاهد من المقاصد
- مقاصد المعاملات وكراصد الواقعات

إلى جانب عديد العناوين الأخرى والبيانات والورقات التأطيرية التي قدم بها فضيلة الشيخ ابن بية حلقات مؤتمرات تعزيز السلم التي دعا إليها وترأسها في السنوات الأخيرة في أبو ظبي ونواكشط.

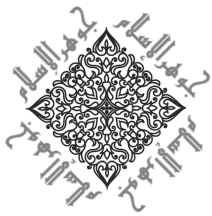

فتوى مالكية زيتونية تونسية في مشروعية الدعاء والذكر والصلاة على النبي ﷺ جماعة عقب الصلوات المكتوبات

«سئل شيخ الإسلام محمد بن عرفة الورغمي رحمه اللّه إمام جامع الزيتونة المعمور من مدينة سلا في المغرب عن إمام الصلاة إذا فرغ منها هل يدعو ويؤمن المأمون أم لا؟

فإنه قد استمر ببلاد المغرب في بعض نواحيه كراهية هذه الصفة فقد يصلي الامام في بعض المواضع ولا يدعو فتشمئز قلوب المومنين فالغرض من سيدنا بيان الحكم في ذلك وإزالة الأشكال بما أمكن.

فأجاب: مضي عمل من يُقْتّدى به في العلم والدين من الأئمة على الدعاء بإثر الذكر الوارد إثر تمام الفريضة وما سمعت من ينكره إلا جاهل غير مقتدي به ورحم الله بعض الأندلسيين فإنه لما ألقي إليه ذلك ألف جزءا في الرد على منكره.

وخرج عبد الرزاق عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه سئل أي الدعاء أسمع ؟ قال: شَطْرَ الليل الأخرِ وأدبار المكتوبة وصححه عبد الرزاق وابن القطان.

وذكر الرواية الإمام المحدث أبو الربيع في كتاب مصباح الظلام عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال : من كانت له إلى الله حاجة فليسألها دبر صلاة مكتوبة) والله حسيب أقوام ظهر بعضهم ولا يعلم له شيخ ولا لديهم مبادئ العلم الذي يفهم به كلام العرب والكتاب والسنة يفتون في دين الله بغير نصوص السنة.

وأجاب عن السؤال أيضا كبير طلبته قاضي الجماعة بتونس الشيخ الفقيه أبو مهدي عيسى الغبريني:

الصواب جواز الدعاء بعد الصلاة على الهيئة المعهودة إذ لم يعتقد كونه من سنن الصلاة وفضائلها أوواجباتها وكذلك الأذكار بعدها على الهيئة المعهودة كقراءة أسماء الله الحسنى ثم الصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم مرارا ثم الرضا عن الصحابة رضي الله عنهم وغير ذلك من الأذكار بلسان واحد...»

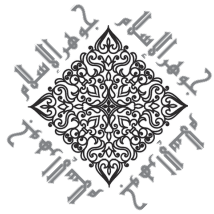

شهادة الأقارب والأباعد لرسول الله ﷺ بالخلق الكريم

الحمد لله الذي انار الوجود ببعثة سيدنا محمد فهدى الله به عباده وأخرجهم بما جاء به من الضلالة والغواية وارشدهم إلى ما فيه صلاح أحوالهم في عاجل الدنيا وآجل الدار الآخرة

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له لا معبود سواه ولا مستعان بغيره بيده الخير وهو على كل شيء قدير. لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه فله الحمد أولا وآخرا حمدا يوافي نعمه ومننه التي لا تُحصى

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ومجتباه وشفيعه في أمته يوم لا ينفع لا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وعمل خالص لوجهه الكريم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

وأوصيكم عباد الله بما أوصي به نفسي بتقوى الله خير الزادِ بل لا زاد ينفع غيرها فاتقوا الله عباد الله وقولوا قولا سديدا يُصلح لكم أعمالكم

نمضي عباد الله المسلمين مع صاحب هذه الذكرى ذكرى المولد النبوي الشريف لنستعرض ولنتدبر صفحات من سيرته العطرة وشمائله وأدبه وما شهد له به ربّه قبل سائر خلقه من أدب رفيع وخلق عظيم لم يشهد به لأحد سواه من سائر خلقه بما في ذلك من سبقوه من صفوة خلق الله من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعا افضل الصلاة وأزكى التسليم.

فقال في حقه في محكم تنزيله ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ وإذا كان الذيين من حوله من أهله وآله وأصحابه ومن كان منهم لصيقا ملازماً له في حله وترحاله قد أجمعوا عل الإشادة والتنويه بما عرفوه فيه عليه الصلاة والسلام من مكارم الأخلاق

وفضائل الأعمال التي نشأ عليها منذ صباه وهو لم يبعث بعده نبيا ورسولا وكانوا يلقبونه بالصادق الأمين ولا يتهمونه بمنقصة من شأنها أن تجعله مثل بقية الناس الذين يؤخذ من أعمالهم ويردّ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قبل البعثة وبعدها قمة في مكارم الأخلاق.

وما أبلغه وما أصدقه ما قالته أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها وهي تعدّد فضائله ومكارمه (والله لا يُخزيك الله إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ (المحتاج إلى العون والسند) وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر)

شهادة تكتب بماء العين من امرأة سبرت وعرفت سير الرجال واختارت ليكون زوجا لها خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وإنما يعرف منازل الرجال من يعاشرهم ويكون قريبا منهم في العسر واليسر والشدة والرخاء وأهله وعشيرته ومن يخالطونه في شؤون الحياة هم من شهادتهم تخلو من المجاملة.

وذلك هو حال من كانوا حوله وبجانبه عليه الصلاة والسلام، جميعهم وبدون استثناء اتفقت كلمتهم على ما أوتيه عليه الصلاة والسلام من خلق رضي وأدب رفيع وهما أس الفضائل وركيزتها وهما ما يستند عليهما في تصنيف الرجال وتنزيلهم المنزلة التي يستحقونها.

كتب السيرة والشمائل تشهد بذلك والشيء من مأتاه لا يُستغرب فقد اجتمع للآل وللصحب التعظيم والتقدير لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكل ما رأوه فيه ومنه واجتمع لهم من ذلك الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لم يصل إليه حُبّ المحبين لسواه عليه الصلاة والسلام، حب ملك عليهم كل أنفسهم وكتب السيرة تحكي لنا صُورا وحالات يعجز القلم واللسان عن وصفها من ايثاره على أولادهم ووالديهم وأموالهم وانفسهم التي بين جنوبهم وبلغوا بذلك عن جدارة القمة وحق فيهم قوله عليه الصلاة والسلام **(لا يكون أحدكم مؤمنا حتى اكون أحب إليه من ولده ووالديه وماله ونفسه التي بين جنبيه)** لقد كانوا رضي الله عنهم وأرضاهم هواهم تبعا لما جاء به من عند الله .

يقول الله في حقهم ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ الأعراف الآية157 قال أبو جعفر الطبري (يقول جلّ ذكره

فالذين صدقوا بالنبي الأمي وأقروا بنبوته وعزروه، وقروه وعظموه وحموه من الناس وقوله ونصروه أعانوه على أعداء الله وأعدائه بجهادهم ونصب الحرب لهم واتبعوا النور الذي انزل معه (يعني القرآن والإسلام) أولئك هم المفلحون. يقول الطبري الذين يفعلون هذه الأفعال التي وصف بها جلّ ثناؤه أتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هم المنجون المدركون ما طلبوا ورجوا بفعلهم ذلك.

وفي سير الصديق والفاروق وذي النورين وابن أبي طالب وغيرهم من بقية الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ورضوا عنه صفحات تشهد بمدى الحبّ الذي احبوا به صاحبهم سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام.

وهم رضي الله عنهم في هذا الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يكونوا لنا القدوة والأسوة فهم خير القرون وهم معالم الهدى والرشاد التي ينبغي أن يسير على نهجهم من يأتي بعدهم من أمة الإسلام

ما نريد أن نضيفه ومن باب (شهد شاهد من أهلها) هو شهادات انصاف اخترنا منها واحدة وما هي إلا عينة دالة على عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتأخر عن الاعتراف بها له من لا يمكن أن يتهموا بالميل والمجاملة.

هذه الشهادة توردها كتب السيرة فقد ارسل رسول الله ﷺ إلى عظماء زمانه من الملوك والحكام سفراء حملوا منه إليهم رسائل تبلغهم ببعثته نبيا ورسولا وللأديان خاتما ومن هؤلاء كسرى فارس والمقوقس ملك مصر والنجاشي ملك الحبشة وهرقل عظيم الروم.

وهؤلاء السفراء ممن أحسن اختيارهم لخبرتهم وحنكتهم وحسن إبلاغهم وأدائهم لمهماتهم اختارهم رسول الله ﷺ والرسائل بها ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك زمانه دقق وحقق في مضامينها وأخضعت في العقود الأخيرة (ما بقي منها) إلى التحقيق المخبري من طرف المختصين لتثبت موثوقيتها.

وقد اشتملت على هذه الرسائل أمهات كتب السيرة والتاريخ مثل عيون الاثر لابن سيد الناس والمواهب اللدنية للقسطلاني والبداية والنهاية لابن كثير وزاد المعاد لابن القيم وصبح الاعشى للقلقشندي والعبر لابن خلدون والوثائق السياسية للعهد النبوي للباحث الهندي العالم الجليل محمد حميد الله رحمه الله المعروف بصرامته ودقة تحقيقاته التي شهد له بها كبار الباحثين والدارسين في بلاد الغرب وكان مبعوث

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم هو دحيّة بن خليفة الذي ينتهي بنسبه إلى عامر الأكبر بن عوف الكلبي وهو صحابي مشهور شهد الخندق وقيل أحد وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبريل ينزل أحيانا على صورته.

وقبل أن يسلم دحية كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل خاطبه قائلا (يا قيصر أرسلني إليك من هو خير منك، والذي أرسله هو خير منه ومنك (أي الله) فاسمع بذل ثم أجب بنصح فإنك إن لم تتذلل لم تفهم وإن لم تنصح لم تنصف قال قيصر: هات قال دحية (فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له، أدعوك إلى من دبّر السماوات والأرض والمسيح في بطن أمه وادعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى وبشر به عيسى بن مريم بعده وعندك من ذلك إنارة من علم تكفي من العيان وتشفي من الخبر فإن أجبت كانت لك الدنيا والآخرة وإلا ذهبت عنك الآخرة وشوركت في الدنيا واعلم أن لك ربا يقصم الجبابرة ويغير النعم).

وتتضمن الرسالة النبوية الموجهة إلى هرقل (بسم الله الرحمان الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم السلام على من إتبع الهدى فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرّتين فان توليت فان عليك إثم الاريسيين (وهم أعوانه وخدمه) ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ الآية 63 من آل عمران .

وبمجرد أن قرأ هرقل الكتاب استدعى أعوانه أن يأتيه برجل من قوم صاحب الرسالة فالتمسوا فوجدوا أبا سفيان بن حرب وبعض التجار من قريش في الشام بقصد التجارة. فلما وصلوا أذن هرقل لابي سفيان بن حرب أن يجلس بين يديه وأجلس أصحاب أبي سفيان خلفه ثم قال: إني سأساله فان كذب فردوا عليه، ثم قال لترجمانه أن يسال عن نسب وحسب رسول الله ﷺ فقال: هو فينا ذو حسب ولا نتهمه بالكذب وان اتباعه من الضعفاء والمساكين وانهم في تزايد دون أن يرتدّ واحد منهم عن دينه واننا حاربناه وساله هل يغدر فقال أبو سفيان: لا ثم قال هرقل لترجمانه قل له (لأبي سفيان) إني سألتك عن حسبه فزعمت انه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في احساب قومها وسألتك هل كان من آبائه ملك فزعمت أن لا، فقلت له لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه. وسألتك عن اتباعه أضعفائهم أم أشرافهم فقلت بل ضعفائهم وهم أتباع الرسل وسالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول

ما قال فزعمت لا فعرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له فزعمت لا وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب وسالتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت انهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم. حتى قال (**إن يكن ما تقول حقا فإنه نبي وقد كنت اعلم انه خارج ولم أكن أظنه منكم ولو أني اعلم أني اخلص إليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي**).

فقام أبو سفيان من عنده وهو يضرب يديه بالأخرى ويقول اصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام.

وأخذ قيصر كتاب رسول الله ﷺ ثم قال ما تركت كتابا إلا قراته ولا عالما إلا سالته فما رأيت أن أحييك اليوم بأمر أرى غدا ما هو احسن منه ثم كتب الردّ التالي:

(إلى أحمد رسول لله الذي بشّر به عيسى من قيصر ملك الروم انه جاءني كتابك مع رسولك وإني أشهد انك رسول الله نجدك في الانجيل بشرنا بك عيسى بن مريم وإني دعوت الروم أن يؤمنوا فأبوا ولو أطاعوني لكان خيرا لهم).

خطبة الجمعة بجامع البحيرة 1

القاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي

البيان الختامي لمؤتمر صناعة المفتى الرشيد في عصر الذكاء الاصطناعي الصادر عن الامانة العامة لدور الافتاء وهيئات الافتاء في العالم القاهرة

يومي 12 و13 اغسطس (اوت) 2025

في ختام أعمال المؤتمر، أعلن فضيلة المفتي مجموعةً من التوصيات الأساسية، وجاء أبرزها على النحو الآتي:

أولًا: نؤكد مركزية القضية الفلسطينية واعتبارها قضية العرب والمسلمين جميعًا، وأنَّ نصرة أهلنا في فلسطين تمثل فريضةً دينيةً ووطنيةً مصيرية لا يجوز التهاون فيها، مع الدعوة إلى تكثيف المؤسسات الدولية والحكومات لإغاثة شعبنا الفلسطيني، وتقديم الدعم الإنساني العاجل دون عوائق، حمايةً للأرواح البريئة ونصرةً للقضية العادلة.

ثانيًا: نشدِّد على وَحدة الصف الإسلامي، ونبذ الخلافات، والالتفاف حول الثوابت الجامعة؛ إدراكًا منا للتحديات الكبرى التي تواجه الأمة، والتأكيد المتكرر على أن وحدة الكلمة وصلابة الصف من أهم ضمانات الثبات أمام التحديات، فالأمَّة تواجه اليوم تحديًا كبيرًا في تحقيق وَحدتها والمحافظة على كيانها؛ لذا نُهيب بعلماء الأمَّتين العربية والإسلامية أن يعيدوا الصِّلة بينهم ويشدِّدوا عرى الأخوَّة الإسلامية، فإنَّ حفظ هذه الوحدة هو ضمان لمستقبل الأمَّة وثباتها.

ثالثًا: ندعو المؤسسات الإفتائية والعلمية إلى تبنِّي أعلى معايير الحيطة والدقة في عصر الفتوى الرقمية، وضرورة ترسيخ ضوابط فقهية وأخلاقية تحكم الفتاوى المنشورة عبر الوسائط الرقمية، نظرًا لسرعة الانتشار والتداول الواسع، ما يجبرنا على مزيد من التدبُّر قبل الإفتاء، فالانتشار الهائل للفتوى ينذر باضطرابات قد نخطئ في تحكيمها، وإنَّ الأحكام الشرعية التي نُبلِّغها يجب أن تُستنبَط من معين علمي راسخ،

حتى لا تتحوَّل الفتوى إلى باب فتنة داخل المجتمعات؛ لذا فإنه من مسؤوليتنا ترسيخ الضوابط التي تحكم كل فتوى تُنشر عبر وسائل الاتصال الرقمي، لحفظ وحدة مبادئنا وعدم تفتيت مجتمعاتنا.

رابعًا: نؤكد أن المؤسسات الإفتائية الرسمية هي الحصن المنيع لحماية الشرع من الفتاوى المغلوطة، وكذا حماية المجتمعات من الخلل الفكري مما يزيد من مهمة توحيد جهودها وآليات عملها.

خامسًا: يدعو المؤتمر إلى وضع أُطر أخلاقية صارمة للاستخدام المسؤول للذكاء الاصطناعي، مصدرها النموذج المعرفي الإسلامي. فنحن نعلمُ أن الإسلام يؤكد أهمية العلم ولا يقف ضد التقنية وكل مستجدات العصور، بل يوجِّه استخدامها لخدمة الإنسان، ومن أعظم هذه الضوابط: مراقبة الله تعالى، والصدق والأمانة في نقل المعلومات، وصيانة خصوصية الأفراد، ورفض أي تزييف أو تحريض قد يمسُّ بالأمن والاستقرار المجتمعي والإنساني.

سادسًا: يؤكد المؤتمر أن التطور وتقدُّم العلم أمرٌ إلهيٌّ يجب استثماره في مصالح الناس، وعليه ندعو العلماء إلى دمج تقنيات الذكاء الاصطناعي في البحث والدعوة بتطوير تطبيقات تيسِّر وصول الناس إلى المصادر الموثوقة والمرجعيات الصحيحة، وتعزيز القدرة على استخراج الأحكام من مصادرها، وبذلك تتحول النوازل المعاصرة إلى سوابق فقهية مدروسة، من خلال اجتهاد علمي يقوده المتخصصون.

سابعًا: يؤكد المؤتمر أهمية الاستشراف الفقهي لمواجهة مستجدات العصر، وذلك بإنشاء برامج بحثية موسعة لدراسة قضايا المستقبل بهدف استباق المستجدات بحلول شرعية راسخة، فواجب المفتي ألا يغلق باب الاجتهاد قبل أن يعرف ما قد تثيره التكنولوجيا والعلوم الحديثة. وبناءً على ذلك، نُهيب بدُور وهيئات الإفتاء والمؤسسات العلمية أن تضع برامج بحثية موسعة لدراسة قضايا الغد؛ كالتقنيات الغامضة والحرب الإلكترونية وغيرها؛ كي نكون سبَّاقين في استنباط الأحكام الصحيحة واستخراج حكم الله على المستجدات.

ثامنًا: نُشدِّد على أهمية التأهيل المزدوج للمفتين شرعيًّا وتقنيًّا، مع إدراج مهارات التعامل مع الذكاء الاصطناعي والوسائط الرقمية ضمن مناهج إعداد المفتين وبرامج تدريبهم، بحيث يجمع المُفتي بين رسوخ العلم الشرعي والإلمام الوافي بأدوات التكنولوجيا الحديثة.

تاسعًا: تعزيز العمل المؤسسي الرقْمي في دُور وهيئات الإفتاء، من خلال تطوير البنية التحتية الإلكترونية، ودعم إنشاء المنصات الرقمية التفاعلية لإصدار الفتاوى،

وتفعيل قواعد بيانات وشبكات الاتصال بين الهيئات الإفتائية عالميًّا لتسهيل التواصل وسرعة الاستجابة.

عاشرًا: تعميق التعاون بين هيئات الإفتاء ومراكز البحث والمنظمات الدولية، بهدف تبادل الخبرات وإثراء الدراسات المشتركة حول القضايا المستجدة، وإقامة شراكات استراتيجية مع المؤسسات الأكاديمية والتقنية لتطوير أدوات الإفتاء وبيان الأحكام الشرعية.

حادي عشر: مواجهة خطاب الكراهية والتطرف الرقمي بحزم، من خلال تطوير آليات رصد المحتوى المتطرف على منصات التواصل الاجتماعي، وإطلاق مبادرات توعوية لنشر قيم التسامح والاعتدال والعيش الآمن على مستوى العالم.

ثاني عشر: دعم التنوع الثقافي وترسيخ التعايش السلمي، واحترام الخصوصيات المحلية للمجتمعات وترسيخ قيم الحوار بين الأديان والثقافات وجعل الفتوى جسرًا للتواصل بين الشعوب؛ تعزيزًا للسلم المجتمعي، وتأكيدًا على عالمية رسالة الإسلام في تحقيق السلم والوئام.

ثالث عشر: تطوير أدوات الذكاء الاصطناعي لخدمة الفتوى المعتدلة، وتشجيع الابتكار في البرمجيات الإفتائية وتطبيقات الهواتف والمنصات الرقمية، مع ضرورة توفير الدعم الفني والمالي للمبادرات التي تيسر الوصول إلى الفتوى الصحيحة بلغات متعددة، وذلك بهدف تنقية الخطاب الديني من الشبهات والأفكار المغلوطة، وتيسير الوصول إلى الفتوى المعتبرة بلغات متعددة وفي الوقت المناسب.

رابع عشر: الحث على تشجيع البحث العلمي التطبيقي في مجال الإفتاء الرقمي، مع دعم الدراسات التي تبحث في تكامل العلوم الشرعية مع التكنولوجيا الحديثة لضبط الممارسة الإفتائية.

خامس عشر: إطلاق برامج توعية لتثقيف الجمهور حول مخاطر الاعتماد على الفتاوى غير الموثوقة عبر المنصات المفتوحة وطلب الجواب الشرعي من تطبيقات الذكاء الاصطناعي التي لا تخضع للمراجعة والتقييم، وحث الجمهور على الرجوع إلى المؤسسات المعتمدة.

سادس عشر: إدماج قضايا المناخ في أولويات المؤسسات الإفتائية وإشراك القيادات الدينية في معالجة قضايا التغيُّر المناخي، من خلال تفعيل دور العلماء والمفتين في التوعية بمبادئ الحفاظ على البيئة وفق تعاليم ديننا الحنيف، إضافة إلى تعزيز التعاون مع المنظمات الدولية المعنيَّة لإبراز البُعد الأخلاقي والديني في جهود مكافحة تغير المناخ .

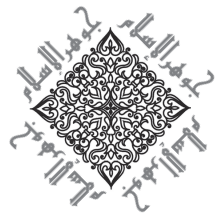

من يرد اللّه به خيرا يفقهه في الدين

بقلم الشيخ محمد الحبيب النفطي رحمه اللّه

زكاة الأموال المدخرة لبناء مسكن أو زواج أو غيره

السؤال يقول السائل الكريم، أنا موظف حديث العهد بالشغل ولا زلت أعيش في صلب عائلتي والمال المتأتي من دخلي الشهري يصب مباشرة في رصيدي بالبنك وأنا أسحب منه عند الحاجة وهذا الرصيد يزيد وينقص ولكنه قد تجاوز المليون (والهدف هو تجميع المال لاقتناء الضروريات والتجهيزات الضرورية للزواج وغيره) مع العلم انه مر قرابة السنتين منذ اشتغالي إذا فالمطلوب هو: هل على هذا الرصيد زكاة؟ وما هو وقت إخراجها؟ وهناك من يقوم بشراء بعض الحاجات قبل حلول حول الزكاة ليتهرب من إخراج الزكاة وهناك من يقول إن المال غير الزائد عن الحاجة لا تجب فيه الزكاة وقد يكون هذا المال من هذا النوع أي بأنه سيوظف لشراء ضروريات والقصد هو تجميعه لبناء بيت أو شراء مستلزمات زواج أو غيره، فهذا الموضوع يهم مجموعة كبرى من شبابنا تفضلوا سيدي الشيخ بإجابتي في أقرب وقت ممكن ولكم الشكر سلفا والسلام

الجواب اعلم أيها السائل الكريم أن الزكاة هي قاعدة من قواعد الإسلام الخمس قد ورد الأمر بأدائها لمستحقيها مقرونة بالأمر بالصلاة في غير ما آية من القرآن الكريم وهي عبادة مالية لله في مال المسلم إذا بلغ ماله النصاب ومنكر وجوبها والاعتراف بها كافر مرتد عن الدين الإسلامي الحنيف وهي حق الله في مال الأغنياء المسلمين يعطى للفقراء المسلمين قال تعالى ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ الآية 56 من سورة النور وقال جل ذكره مخاطبا رسوله عليه السلام

وكل من تولى أمر المسلمين ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ**﴾ الآية 113 من سورة التوبة وقال جل ثناؤه ﴿**وَأَقِيمُواْ الصَّلاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾الآية43 من سورة البقرة وقال صلى الله عليه وسلم (**بني الإسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا صلى الله عليه وسلم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا**) وانعقد إجماع علماء الإسلام على وجوبها فمن جحد وجوبها فهو كافر مرتد عن الإسلام كما تقدم وعليه فاعلم أيها السائل الكريم ان مالك المتجمع في رصيدك البنكي إذا كان بالغا النصاب وحال عليه الحول أي مرت عليه سنة قمرية أي بالحساب القمري وهو اثنا عشر شهرا وهو بالغ للنصاب يجب عليك إخراج الزكاة عنه عند مرور كل سنة ونصاب النقود لا يخضع لمقدار معين بصفة دائمة لا يتغير بل يتغير لأنه تابع لسعر الذهب في السوق ونصاب الزكاة في الذهب الذي بالأوراق المالية اليوم هو عشرون دينارا من الذهب الخالص ووزن 85غ تقريبا والقدر المخرج زكاة هو ربع العشر يساوي اثنين ونصفا في المائة وهذا المال المدخر في البنك تجب فيه الزكاة إذا كان بالغا للنصاب المذكور سواء ادخر للبناء أو للزواج أو لأي غرض من الأغراض لكن بشرط مرور الحول وبلوغ الحد الأدنى من النصاب والله الموفق.

صدر اخيرا للصديق صالح الحاجة سفر جميل يحمل عنوان (خمرة الروح) متضمنا باقة من بطاقاته التي لا يزال يتحف بها قراءه بما في ذلك ما تنشره له مجلة جوهر الإسلام تباعا .وهو بهذا الاصدار الرابع يستجيب لطلب طالما ألححنا فيه عليه وهو ان يعود إلى ما خطه قلمه السيال فيجمع ما يمكنه جمعه ويصدره تباعا في مثل هذا السفر الجميل... فهنيئا بخمرة الروح وللروح خمرة لا يتذوق حلاوتها الا المحبون وصالح الحاجة منهم.

مولاي :من لي ألوذ به إلاك يا سـندي ومولاي

بقلم صالح الحاجة

أصبح استماعي للشيخ النقشبندي يرهقني.. يتعبني.. يدمرني.. كلما استمعت إليه في «مولاي إني بـبابك» إلاّ ووجدت نفسي أسبح في بحيرة من الدموع..

وفي كل مرة اصغي إليه بقلبي أذوب ..واحترق ..وأتحول إلى ذرة من تراب..

لم أعد أستطيع سماعه.. وأحاول نسيان مفتاح الحريق الذي يشعله بداخلي..

لن اسمعه مجددا لأن الدموع صارت أضخم من عيوني.. وأكثر مرارة من مرارة عيشي..

ولكن هل لي بباب غير باب مولاي.. وسندي ..؟

مولاي إني ببابك قد بسطت يدي من لي ألوذ به إلاك يا سندي

مولاي يا مولاي مولاي إني ببابك

مولاي إني ببابك مولاي إني ببابك

أقوم بالليل والأسحار ساجية أدعو وهمس دعائي

أدعو وهمس دعائي بالدموع ندي بنور وجهك إني عائد وجل

ومن يعذ بك لن يشقى إلى الأبد مهما لقيت من الدنيا وعارضها

فانت لي شغل عما يرى جسدي تحلو مرارة عيش في رضاك

تحلو مرارة عيش في رضاك تحلو مرارة في رضاك

و ما أطيق سخطا على عيش من الرغد

من لي سواك ومن سواك ومن سواك يرى قلبي ويسمعه

كل الخلائق ظل في يد الصمد ادعوك يا رب ادعوك يا ربي

فاغفر زلتي كرما واجعل شفيع دعائي حسن مرتقبي

و انظر لحالي وانظر لحالي

في خوف في طمع هل يرحم العبد الله من أحد

قد بسطت يدي من لي ألوذ به إلاك يا سندي ومولاي.

taine de sources bibliographiques présentées notamment l'étude de l'ouvrage « al-nûr al-lâmi‘ al-barrâq fi al-ta‘rîf bi al-shaykh al-Harrâq », l'ouvrage « al-na'îm al-muqîm » et les cinquante lettres du maître al-Harrâq ainsi que ses Nawâzil :

La première partie a été consacrée à une présentation historique. Celle-ci relate l'historique du soufisme puis une présentation de l'environnement socio- cultuel du Maroc au 19éme siècle et inclura la définition puis l'étude des principales relations entre le Fiqh et le soufisme, à travers surtout les manifestations de leurs divergences historiques.

Quant à la deuxième partie, elle comprend la contribution de Muhammad al-Harrâq à travers sa biographie et l'analyse de ses lettres. La contribution soufie de cette deuxième partie est divisée en trois thèmes principaux qui découlent de l'analyse des lettres d'al-Harrâq : le thème du façonnement de l'intérieur de l'individu, le thème des relations du disciple avec l'extérieur, c.à.d. avec les autres disciples, avec le maître et avec l'environnement et le thème des fruits de l'éducation spirituelle. Cette partie s'achève avec une conclusion sur l'apport spécifique de Muhammad al-Harrâq, y est mis en exergue l'apport du soufisme d'al-Harrâq dans le renouvellement des méthodes de cette discipline.

Enfin, la troisième partie a été consacrée à l'axe jurisprudentiel. L'accent y est mis sur « Fiqh al-wâqi' », c'est-à-dire le résultat de la confrontation d'al-Harrâq avec les principales questions de son environnement. Muhammad al-Harrâq- de sa position de faqîh mâliki et théologien ash‘arî- a essayé comme d'ailleurs l'a fait tout juste avant lui Ibn ‘Ajîba, de redonner au Fiqh sa valeur et revivifier l'ijtihâd pour répondre aux principales questions de son époque. Nous y avons détaillé aussi la réfutation d'al-Harrâq des préjugés sur le soufisme de son époque. Nous y avons démontré à travers cette partie comment le soufisme peut donner un souffle au Fiqh, le rendre vivant, plus moral et plus pertinent. Cela en trois volets :

- la notion de cœur et sa relation avec le ‘aql (la raison) ;

- le rôle du spirituel pour le développement d'un Fiqh moral, réaliste, engagé et éclairé ;

- et la synthèse de sa doctrine qui concilie le Fiqh et le soufisme allant même jusqu'à servir le Fiqh par le soufisme et protéger le soufisme par le Fiqh.

(Suite au prochain numéro)

Le soufisme confrérique a connu des moments de gloire mais également de rudes épreuves de la part de ses adversaires, notamment certains juristes qui voyaient en lui une atteinte à la tradition scripturaire, une hérésie, une sorte de perversion et une menace à leur propre notoriété et influence . Mais les opposants les plus virulents et les plus agressifs restent les salafis contemporains et notamment les wahhabites . Le Maghreb soufi en souffrira ainsi très tôt. Ce dernier a en effet connu depuis le quinzième siècle quatre siècles d'or de soufisme confrérique marqués par un rayonnement socioculturel sans précédent. Mais ce rayonnement et cette notoriété vont s'estomper peu à peu au profit du mouvement « Wahhabi » venu d'Arabie et qui commence à se répandre vers les débuts du dix-neuvième siècle. Ce mouvement a joué un grand rôle dans les confrontations qui ont opposées juristes et soufis-juristes au Maghreb.

Muhammad al-Harrâq est un modèle qui incarne les enjeux et tumultes de cette époque. En effet, il a pu approfondir ses études de droit musulman Fiqh notamment à l'institut Qarawiyyîn à Fès entre les mains des maîtres reconnus de son époque. Il était devenu maître et spécialiste en Fiqh et avait même rédigé des Nawâzil (droit événementiel) . Le Sultan de l'époque-Mûlây Slimân - l'avait nommé grand Muftî et Imâm de la Mosquée de Tétouan au nord du Maroc. La jalousie des juristes de son époque et le complot qu'ils mènent contre lui vont nuire à sa réputation et l'exclure injustement de sa mission et de ses fonctions. Sa rencontre avec le Shaykh al-'Arbi al-Darqâwî le tira de son désarroi et c'est grâce à cette rencontre qu'il découvrira le soufisme et ses réalités cachées. Cette nouvelle science gustative spirituelle va le transformer, l'élever et lui permettre de réformer sa société ainsi que la discipline du droit musulman en soumettant cette dernière à l'éthique et en la conciliant avec l'éducation spirituelle, ce qu'al-Harrâq considère comme une des conditions du bon exercice de la fonction de la Fatwâ.

Muhammad al-Harrâq dont l'éducation spirituelle fut influencée par la richesse culturelle de son environnement qui joignait la culture orientale et andalouse d'une part et une présence massive de grands savants exotériques ('ulama) de l'autre - s'inspire de la parole attribuée à l'imâm Mâlik dans cette relation entre Fiqh et spiritualité, pour donner un rôle plus accru à la spiritualité afin d'agir et influencer le Fiqh et par là le renouveler (le protéger).

Le travail doctoral est divisé en trois parties en se basant sur une cen-

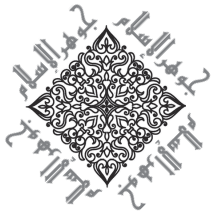

L'intelligence spirituelle - Relation entre Fiqh et soufisme, convergence ou divergence : Comment le soufisme peut réformer le Fiqh ?

Extrait thèse de doctorat EPHE-Sorbonne Paris

Dr Tarik Abou NOUR BENGARAI

الذكاء الروحي، من رسالة الدكتوراه، د. طارق بنكرعي أبو نور الادريسي الحسني

Le mot réforme qui porte parfois une connotation « politique » ou « idéologique » prend ici tout son sens ! Car s'il y a bien une réforme nécessaire à mener ce sera celle de purifier le cœur des maladies intérieures telles la haine, l'orgueil, l'ostentation, l'amour du pouvoir…L'auteur va même jusqu'à conditionner le bon exercice du Fiqh par l'abandon des appétits bestiaux de l'âme charnelle (nafs) et sa soif du pouvoir par la purification du réceptacle de la foi « le Cœur » afin que s'établisse la connexion utile entre le 'aql (raison) et le qalb (cœur) et atteindre ainsi la paix intérieure et la clairvoyance qui a manqué cruellement à bon nombre de fuqahas au point de ne voir dans la religion qu'un exercice de loi purement littéraliste dénué de tout objectif noble (maqâsid) ou encore servant les intérêts de leur commanditaires!

L'auteur démontre ici le bienfondé de la réforme du cœur pour un Fiqh éclairé, indépendant et sage à travers la biographie et la contribution d'un grand soufi juriste du 19éme siècle dont les épitres sages n'ont rien à envier à son maître al-'arabi al-Derqâwî, il s'agit de Muhammad al-Harrâq (m. 1845) plus connu pour ses poèmes mystiques d'amour divin que par son apport au Fiqh.

En effet, ce qui intéresse les gens dans la vie des prophètes, c'est ce qu'ils ont apporté comme enseignements de ce qui leur a été révélé. Quant à leur lutte contre les passions de l'âme et à leurs mortifications, elles leur ajoutent, certes, encore plus de valeur à nos yeux, bien que nous soyons convaincus que les âmes humaines sont faibles et réagissent facilement aux diverses influences.

Sinon, où est ce respect qui est dû à ces prophètes et messagers s'ils ne suivent pas la voie de la guidance qu'ils ont apportée, même dans ses vastes limites et dans son sens général?

Il est vrai que la mention de ces points faibles, même s'ils sont très rares en ce qui concerne ces messagers et prophètes, a pour but de mettre en garde les hommes contre le risque de tomber dans l'erreur de leur sacralisation et partant, de leur adoration. Il reste que

si les faiblesses de l'âme sont tolérées pour les «enfants d'Adam», elles ne peuvent l'être pour « Dieu » ou pour le

«fils de Dieu ».

C'est là justement la pierre d'achoppement sur laquelle se heurtent les chrétiens, en faisant du prophète

Jésus le «fils de Dieu ».

N'est-ce pas que les Evangiles ont subi des modifications, des transformations et des révisions en différents endroits? Et pourquoi les auteurs de ces Évangiles ont-ils ignoré les trente premières années de la vie du Messie, en n'évoquant rien de cette période, ne rapportant que les faits des trois dernières années de sa vie?

En outre, si nous prenons en compte ce qui a été rapporté concernant le fait que deux apôtres parmi les quatre auteurs d'Évangiles ont mentionné des faits de l'enfance du Messie, cela sous-entend que cette coupure dans sa vie ouvre la voie à tous les amalgames et interprétations possibles, dont le moins qu'on puisse dire est que durant toutes les années de sa jeunesse, le Messie ne s'est pas distingué par quelque chose d'exceptionnel et que ses actes n'indiquent pas qu'il avait une vie extraordinaire digne d'un « fils» de Dieu.

(Suite au prochain numéro)

Etienne Dienet : Quelques rayons de la lumière de l'Islam

D'autres questions

Passons maintenant à une autre question, à savoir celle de Mohammed le Prophète de et de Jésus « le fils de Dieu ». Il y a lieu de savoir que les historiens, notamment musulmans, qui ont écrit sur les prophètes Moïse, David, Salomon ou Mohammed se, les ont tous mentionnés avec éloges et profonde considération, en leur exprimant une grande vénération et un profond respect. Par avec exactitude l'époque où fut écrite la Torah, c'est-à-dire à l'époque de la présence des Hébreux en Égypte, vraisemblablement à l'époque de la dix-huitième dynastie. Les archéologues égyptiens ne soutiennent pas, certes, l'existence d'expressions hiéroglyphes dans la langue hébraïque, mais ils ne nient pas l'existence de quelques termes dans cette langue. Aussi, l'existence de nombreuses expressions égyptiennes dans la langue hébraïque, comme je viens de le prouver dans mon livre, infirme cette opinion et provoque un grand bouleversement dans les thèses scientifiques soutenues alors à ce sujet».

Contre, les historiens qui ont écrit sur le Messie ne l'ont pas mentionné dans les Evangiles avec ce respect et cette vénération.

Ces historiens, notamment musulmans, décrivent ces prophètes comme des messagers qui reçoivent le Révélation de Dieu, mais ils restent des êtres humains qui sont soumis aux mêmes circonstances naturelles que tous les autres êtres humains. De ce fait, et en vertu de cette croyance, ces historiens n'ont jamais cherché à cacher une parole ou un acte d'un de ces prophètes, car s'ils avaient fait cela, en se permettant de changer, de modifier et de falsifier leurs biographies, ils se seraient érigés en cen-seurs, ce qu'ils n'ont pas le droit de faire.

JAWHAR EL ISLAM
Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 3/4 - 24ème année
Rabi I - 1447/septembre 2025

SOMMAIRE

Etienne Dienet quelques rayons de la lumière de l'islam 3

L'intelligence spirituelle - Relation entre Fiqh et soufisme, convergence ou divergence : Comment le soufisme peut réformer le Fiqh ? Extrait thèse de doctorat EPHE-Sorbonne Paris 4

par Dr Tarik Abou NOUR BENGARAI